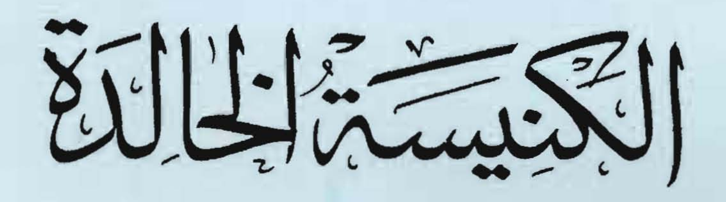
دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت



الأب متى المسكين

دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

الكنيسة الخالدة

الأب متى المسكين

كتاب: الكنيسة الخالدة.
المؤلف: **الأب متى المسكين.**
الطبعة الأولى: ١٩٦٠.
الطبعة الثانية: ١٩٧٤.
الطبعة الثالثة: ١٩٨٤.
الطبعة الرابعة: ١٩٩٣.
الطبعة الخامسة: ٢٠٠٢م.
مطبعة دير القديس أنبا مقار ــ وادي النطرون.
ص. ب ٢٧٨٠ القاهرة.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٨٤/١٨٢٤.
رقم الإيداع الدولي: ٦ ــ ٠٠٦ ــ ٤٤٨ ــ ٩٧٧

محتويـــات الكتاب

صفحة

تقـــديـــم

تقديـــم

عودة على ذي بدء:

عرضنا في مقدمة كتاب «حياة الصلاة الأرثوذكسية» (*) ما تعانيه الكنيسة في الحاضر من شُحٍّ وجفاف في الحياة الروحية، وحاجة الكنيسة إلى جيل يتذوق جوهر الأرثوذكسية من نسك وعبادة وتصوف. ونظن أن الكتاب قد ألقى شعاعاً على الدروب العتيقة التي مرت فيها أقدام القديسين، وأزاح ما تراكم على هذه الدروب من إهمال وجهل ونسيان خلّفته ثلاثة عشر قرناً من الزمان.

ونكاد نطمئن أن هناك أقداماً بدأت تسير على ذات الدروب...

* * *

في الموضوع:

أما هذا الكتاب، «الكنيسة الخالدة» فقد ألزمتنا الضرورة بكتابته؛ لأنه لا غنى للسائرين في دروب الخلاص عن التعرف على كنيستهم كمصدر للنور لازم للطريق.

ولكن الداعي الأول لكتابة هذا الكتاب بلا مراء، هو هول ما نحسه مما يعانيه المؤمنون في هذا العصر من تقاعس فكري أصاب الكنيسة، إذ عفت عقول قادتها عن الدراسات العميقة في الكتاب المقدس، فانقطع بالتبعية سيل الروح القدس من الإنتاج الفكري، سواء الوعظي أو الكتابي؛ وانكمشت المفهومات اللاهوتية في

(*) الطبعة الثامنة تحت الطبع الآن.

إطار ضيق من المحفوظات العقلية دون أن تجد لها مجالاً في السلوك؛ وتجنب الوعاظ بل والمدرسيون أيضاً الحديث عن اللاهوت، وإن طرقوه ففي حذر ورعدة، والتزموا الكلمات المحفوظة التي جفت مدلولاتها في عقول السامعين بسبب عدم انسجامها مع الواقع الشعوري في حياة الإنسان؛ حتى باتت الكنيسة في عوز لاهوتي؛ وتضاربت التعاليم وفلت زمامها، وانحصرت الكرازة في دوائر ضيقة لا تتماس مع بعضها بل تتجه نحو غايات ليست من روح الكنيسة وأبعد ما تكون عن الخلاص؛ لذلك لا نراها مثمرة لأنها لا تعمل لحساب المسيح.

* * *

نحن ندعو إلى نهضة فكرية ووعي لاهوتي يكون أساسه إعادة اكتشاف حقوقنا في شخص المسيح، فنستقبل منه «النعمة والحق» (يو١: ١٧)، ونتعرف على خلاصنا المجاني في شركة لاهوته، فتستعيد الكنيسة حياتها الإلهية حسب منهجها الأرثوذكسي الأول؛ و ينجمع شمل المؤمنين في وحدة الفكر والإيمان والصلاة.

وليعلم القارىء أن أمراض هذا الجيل سواء كانت إجتماعية أو نفسية أو إقتصادية أو حتى الجسمية منها فهي ناشئة جميعاً عن اختلال في العلائق التي تربط الإنسان بالله. وهذه لن يتم علاجها إلا عن طريق روح الإنسان، وروح الإنسان لا تعالَج إلا بجرعات لاهوتية حية.

وكتابنا هذا على مستوى لاهوتي حي، سهل في معناه وفي أسلوبه، لأن اللاهوت في عُرفنا أسهل وأقرب إلى وجدان الإنسان من أي علم آخر طالما كان من واقع الإحساس والخبرة والسلوك، لا من واقع المنطق والقياس والبرهان الجدلي.

* * *

تمهيد:

ونحن هنا في المقدمة نبدأ بتصحيح أوضاع ومسميات أخذت مجراها الخاطىء عبر السنين نود لو ينتبه لها ذهن القارىء جيداً حتى يتهيأ لفهم هذا الكتاب:

من هي الكنيسة؟

هل الكنيسة هي اجتماع المؤمنين في مكان ما زماناً ما، كما يقول المدرسيون، وكفى؟

لا؛ فالكنيسة شخصية حية جامعة، قوامها جسد المسيح السري وأعضاؤها هم المؤمنون بالروح والحق. وهي تنمو باستمرار نحو غاية مرسومة لها قبل الدهور، وتتحرك بلا توقف ولا نكوص؛ ماضيها حي ومستقبلها حاضر دائماً؛ فالزمن يتحول فيها إلى حكمة، والألم إلى شهادة والضيق إلى إيمان... الآلام في الكنيسة ليست غريبة عن طبيعتها ولا هي تعتبر كعمل ثانوي لها، لأن المسيح لم يوضع عليه الألم كعمل إضافي بل كان الألم غاية التجسد!! والكنيسة هي جسد المسيح.

والمؤمنون المتحدون في جسمها يظلون أحياءً فيها لا يفصلهم الموت عنها لأن جسمها هو المسيح، فالذين عاشوا في الدهور السالفة، فيها إلى الآن يعيشون، ومعنا يعملون، في وحدة الأسرار، وفي وحدة الصلاة والشفاعة المتبادلة!!

والذين هم فيها الآن لا يُحسبون أنهم فيها أو أنهم منها إلا إذا كان فيهم روح الكنيسة، روح الكنيسة هو شركة مع المسيح وشركة مع الفقير.

شركة المسيح إيمان حي مستعد للشهادة حتى سفك الدم، وشركة الفقير لقمة مقتسمة.

ثم ماذا في الكنيسة؟

أهي مجرد أعياد وقداسات وقناديل وتذكارات و بخور وتسبيحات، كما يراها

الطقسيون، وكفى؟

لا؛ فالكنيسة تقدم شركة حية في الأسرار الإلهية؛ ليست هي ممارسات شكلية أو فرائض تأتي بثمارها من تكرارها، بل هي دخول إلى الله الحي، هي سكب النفس أمام المذبح وانطراح كلي تحت رجلي الله باتضاع شديد وانكسار.

الكاهن يقدم نفسه ذبيحة بالصلاة، ويمهد بحياته وقدوته أن يقدم الشعب كله ذبائح نفوسهم لله طاهرة من عيب الأنانية ومحبة المال والعالم.

القراءة في الكنيسة توسل، التسبيح تضرع، البخور صلاة بلا عيب، القناديل تشفُّع وإيمان، القداسات اقتراب إلى عرش الله ودخول في منطقة النار الإلهية، وشركة في القدس.

الأعياد ذكرى دموع وذكرى دماء، هي دعوة للبذل، هي قدوة للحب، هي شركة في جهاد واحد.

الكنيسة تمهد بالطقس طريقاً روحياً سرياً يسلكه المؤمنون؛ و بالكرازة وخدمة الكلمة تنير ذهنهم فيتجددوا كل يوم وكل مرة بالمعرفة؛ يتغيرون عن شكلهم بتجديد أذهانهم ليبلغوا بواسطة المعرفة إلى حياة أبدية هي غاية كل طقس وكل عبادة «هذه هي **الحياة الأبدية: أن يعرفوك** أنت الإله الحقيقي وحدك و يسوع المسيح الذي أرسلته.» (يو١٧: ٣)

وما هي أرثوذكسية الكنيسة؟

هل هي منطوق نظريات لاهوتية وقوانين لعقيدة صعبة ليس للعامة أن يخوضوها، كما ينظر إليها العقائديون؟

لا؛ الأرثوذكسية هي حياة روحية صحيحة، هي شركة مع الآب والإبن على

مستوى إيماني حي.

أرثوذكسية الكنيسة ليست هي منطوق نظريات لاهوتية؛ ولكنها تطبيق عملي لمبادىء لاهوتية سليمة.

ليست الأرثوذكسية قوانين لعقيدة صعبة لا يجوز للعامة أن يخوضوا فيها؛ ولكن الكنيسة الأرثوذكسية هي العامة أنفسهم حينما يعقلون اللاهوت و ينطقون العقيدة ويحيون الإيمان.

الأرثوذكسية مجرد كلمة تعني الإستقامة أو الصحة في معنى الشيء أو مفهومه، هي تطلَق على نظريات العلم وفي الطبيعة والكيمياء وفي أي شيء يمكن أن يكون صحيحاً.

أما الكنيسة الأرثوذكسية فهي المؤمنون حينما يعيشون حياة كنسية صحيحة، هي جسد الرب كما عرفناه تماماً وحسب الحق. لا يمكن أن توجد كنيسة أرثوذكسية إلا إذا وُجد مؤمنون عارفون بالحق الإلهي تماماً، يؤمنون بالتجسد إيماناً صحيحاً و يشتركون في هذا الجسد إشتراكاً فعلياً، ثم يعيشون بالحق والإيمان وفاعلية الشركة في جسد الرب.

العقيدة والإيمان لا ينشئان كنيسة.

ولا الذين يعتقدون صحيحاً و يؤمنون صحيحاً يبنون الكنيسة. الكنيسة مؤمنون **يعيشون** باعتقادٍ صحيح. الأرثوذكسية الكنسية: عقيدة، صحيحة، حية، في مؤمنين!!

وما هي حدود الكنيسة الأرثوذكسية؟

هل الكنيسة الأرثوذكسية وقف على جماعة خاصة وشعب مختار دون الجماعات

ودون الشعوب، كما يراها المتزمتون؟

لا؛ الكنيسة الأرثوذكسية روح الله في هيكل الإنسانية، فهي عامة وجامعة، صالحة ومستعدة لقبول أشتات الإنسان الذي عذبته الإتجاهات السلبية في أنحاء كل العالم. هي خميرة أصيلة حرة كريمة، تحملها رياح النعمة بسهولة بواسطة المؤمنين لتبذرها في كل مكان على وجه كل الأرض!! هي صوت صارخ يدوي في كل براري العالم المقفرة روحياً، ينادي بملكوت الحق والمحبة والحرية والسلام.

فكما المسيح للعالم كله وهو نوره، وكما الإنجيل للعالم كله وهو مصباحه، كذلك الكنيسة الأرثوذكسية يجب أن تكون كذلك بلا تحفظ ولا احتياط!! فالحق الذي فيها هو المسيح، والحق إذا خُشي على ضياعه ليس هو من المسيح!! والنور الذي فيها هو الإنجيل، والنور إذا خُشي عليه من الظلمة ليس هو من الإنجيل!!

الكنيسة الأرثوذكسية لها روح النبوة، هي محفوظة ليوم الشهادة، وحينما تعي نفسها سوف تنطلق لتبشر العالم كله بالحب والبذل والإخاء، في وضوح الحق وبرهان الروح والقوة.

الكنيسة الأرثوذكسية: هي استعلان حقيقي لملكوت الله جزئياً، هي صورة له في مرآة، تتضح لمن يتفهمها بلا تحيز، وستزداد كل يوم وضوحاً بواسطة الخدمة.

ثم ماذا عن وطنية الكنيسة الأرثوذكسية؟

هل الكنيسة لا تسمح اتجاهاتها الروحية وعقائدها أن تهيىء من أولادها مواطنين أقوياء يحاربون عن الدولة ويحملون عبء الرسالة السياسية والإضطلاع بشئون الوطن كما يقول المتخلفون؟

يخطىء من يقول بهذا القول...

فالكنيسة مصدر الهبات الفكرية العليا والمبادىء والمُثُل الروحية، بل والأخلاق والفضيلة والفن السليم... وهل يمكن أن تتكون شخصية المواطن تكويناً روحياً وأخلاقياً سليماً إلا في الكنيسة؟

والكنيسة وإن كانت ليست مؤسسة سياسية ولا يمكن أن تكون حزباً، ولا تؤازر المتحزبين لأي إتجاه دنيوي لأنها لله تعيش وليس للعالم، إلا أنها تهيىء أولادها لمواجهة الدنيا، فهي أول ما تبني تبني الفرد، تبنيه على عدم الإثرة أو الأنانية؛ فتلقنه الفداء وتعرِّفه المحبة المضحية، وتهبه قوة للبذل، وتسلمه تراثاً كريماً زاخراً بأمثلة حية من آباء ماتوا في سبيل الإيمان والشرف والفضيلة والحق! وهل يمكن أن تقوم شخصية المواطن بغير هذه الأخلاق؟

يخطىء من يظن أن الكنيسة تنكر على أولادها أن ينخرطوا في الحرب أو يحملوا همَّ الوطن.

فالكنيسة تأمرك فقط أن تتهاون بحياتك أنت وتستهين بمالك أنت وتحب عدوك أنت. ولكنها ما تأمرك قط أن تتهاون بحياة قريبك أو بماله أو أن تحب عدوه وتتهادن معه؛ بل فداءً تفتدي قريبك بروحك ودمائك، ووطنك هو قريبك لأنه يحمي حياتك ويحمي كنيستك!!

الكنيسة تقول لك أعطِ ما لقيصر لقيصر (راجع متى ٢٢: ٢١)؛ فإذا أعطتك لقيصر فقد أدت رسالتها كاملة تجاه الوطن!!

الكنيسة تقول لك أنْ «ليس سلطان إلا من الله والسلاطين الكائنة هي مرتَّبة من الله» (رو١٣: ١)؛ حتى تطمئن أنت أنك حينما تخضع لقيصر فأنت خاضع لله وتكون أخليت أنت مسئوليتك تجاه الضمير!!

الكنيسة تأمرك أن تخضع للسلطان خضوعك لله.

«لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة... من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة.» (رو١٣: ١و٢)

فالكنيسة إذ تنظر إلى السلطان بمنظار إلهي؛ فلا ترى في قيصر قوة مستقلة عن الله ولا ترى في الخضوع له أي تعارض مع اتجاهات المسيح!!

الكنيسة ليست منفصلة عن الوطن، هي حقاً ليست من كيان هذا العالم ولكنها في العالم تعيش.

فالكنيسة خاضعة للسلطان لأنها خاضعة للزمان، مع أنها في الواقع لا تخضع إلا لله!!

الله هو كل شيء للكنيسة، والكنيسة لا ترى شيئاً ما منفصلاً عن الله؛ فالزمان والسلطان هما لها عملُ الله!!

خطأ أن تنعزل الكنيسة وتفصل مصالحها عن مصالح الدولة... هو استبداد روحي أن تنتقص الكنيسة أي حق من حقوق الدولة؛ أو تُعلِّم تعليماً لا يتمشى مع مصالحها فيما يتعلق بالحرب والدفاع؛ أو تنتحل لنفسها عملاً يكون من واجبات الدولة.

كذلك هو واجب على الدولة أن تثق بالكنيسة لتهييء أمامها فرصة لتنشئة المواطن الصالح؛ ولا تدعها في عوز حتى لا ترتبك فتقوم بأعمال تكون من صميم أعمال الدولة.

هذا ما عرضنا له بعض الشيء في كتاب «الكنيسة الخالدة». وقد تتبعنا في الجزء الأول الذي بين يدي القارىء الكنيسة في أصولها الأولى منذ أن كانت خيمة

اجتماع.

ونأمل أن نتابع طباعة الأجزاء الثلاثة الباقية التي نتكلم فيها عن الإيمان والخلاص والكرازة إن يشاء الله ذلك.(*)

و يرجو الكاتب أن يتأنى القارىء في قراءته و يدقق في تفهُّم العبارات.

صحراء العامرية في يونيو ١٩٥٩ — **القمص متى المسكين**

(*) الموضوعات المنوّه عنها أنها ضمن الأجزاء الثلاثة الباقية، عالجها المؤلف في كتب أخرى لاحقة.

الباب الأول

شِبهُ السَّماويّات

كما تكمن صفات الشجرة بكل دقائق تركيبها في البذرة الصغيرة التي تنبت منها، كذلك كانت صفات الكنيسة بكل دقائق الإيمان والخلاص والكرازة تكمن في طقوس وذبائح العهد القديم.

•••••••

تمهيد

بولس البنَّاء الحكيم

■■■

إن سر وحدة السيد المسيح بالكنيسة، أي اتحاده بالمؤمنين، موضوع خطير للغاية، قدم له العهد القديم بطرق منوعة، بعضها استغرق أسفاراً كاملة و بعضها احتل طقوساً وفروضاً دقيقة ظلت تمارَس بلا ملل إلى أن تمت بحروفها.

ونرى السيد يتكلم عن هذه الوحدة، أي اتحاده بالذين يؤمنون به، كعمل أساسي جاء خصيصاً ليكمله. وهي إن تعمقناها بالروح، وجدناها بداية الإيمان ونهاية الخلاص.

وكان بولس الرسول أول من كشف دقائق هذا السر العجيب بمقتضى إعلانات خاصة أعلنها له السيد مباشرة: «وأعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذي بشرت به أنه ليس بحسب إنسان، لأني لم أقبله من عند إنسان ولا عُلِّمته، بل بإعلان يسوع المسيح» (١). وقد اتضح لنا فعلاً درايته الممتازة بهذا السر... إسمعه يقول: «مع المسيح صلبت»، «متنا معه»، «دُفنّا معه»، «نتألم معه»، «أقامنا معه»، «أجلسنا معه في السمويات»، «نتمجد معه.» (٢)

---

(١) غل ١: ١١و١٢.   (٢) غل ٢: ٢٠، ٢تي ٢: ١١، رو٦: ٤، رو٨: ١٧، أف ٢: ٦، رو٨: ١٧.

أما لماذا اختص السيد الرب هذا الرسول بالذات، فلا يخفى على القارىء، لأنه صرح بالسبب في موضع آخر متكلماً عن تقدمه في فهم الديانة اليهودية وحفظ الناموس على جميع أترابه، ثم عن تمسكه بدقائق الطقس القديم: «مدققاً في الناموس» (٣). ولم تكن معرفته وتدقيقه على غير حكمة لأنه يقول إنه تأدب بها متعلماً تحت رجلي حكيم إسرائيل وفيلسوف اليهود «غمالائيل.»

وفوق ذلك كله كان له منطق التعليم السليم الذي يبني السامع، إذ يصف نفسه «كبنّاء حكيم.» (٤)

إذن، نستطيع أن نقول كلمتنا الآن: إنه كان ينهل على الدوام من العهد القديم، و يتقصى منه عن المعاني الجديدة التي أكملها الرب فتزداد وضوحاً و يزداد هو رسوخاً؛ وفي هذا الباب محاولة مثل هذه نطرقها بروح ذلك الرسول أو بالحري بالروح الذي أنار ذهن هذا الرسول. فنخرج بأضواء جديدة نلقيها على معنى الوحدة السرية التي تمت بين المؤمنين والمسيح، لنعرف حقوقنا بالنسبة لإيماننا وخلاصنا. وننظر فيما فرطنا فيه من جهة هذه الوحدة أي الكنيسة.

بولس خادم العهدين:

استرعت نظر بولس الرسول عظمة هذا الأساس الذي وُضع في القديم، لأنه كان فريسياً مدققاً ومتقدماً في معرفة الناموس، أو كما يصف نفسه — كان بنّاءً حكيماً عارفاً بوضع الأساسات في بناء الله (٥)؛ لذلك آئتمنه الله وعرّفه بسر الحقائق المكنونة منذ الدهور؛ فغاص في أعماق هذا الأساس القديم وقاس مع

(٣) راجع غل ١:١٣—١٤، أع ٢٢:٣. (٤) ١ كو٣:١٠.
(٥) ١ كو٣:١٠.

القديسين العرض والطول والعمق والعلو(٦)، وكتب رسائله كاشفاً فيها، بقدرما تسمح الظروف، عن العلائق الوثيقة التي تربط كنيسة الحاضر بالعهد الأول — علاقة البناء بالأساس — وعن قيمة هذا الأساس الذي وُضع، وعن قدرته الفريدة لحمل هيكل البشرية كله، كأساس سبق أن وُضع تصميمه بإحكام في الأزمنة القديمة ليحمل مواصفات بناء الخلاص الكامل في كنيسة الحاضر في شخص يسوع المسيح مع كل ما أكمله الرب في الأردن والصليب والقبر والسماء، متيقناً أنه أساس واحد وأن «لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذي وُضع الذي هو يسوع المسيح». (٧)

شهادة ذات قيمة:

وقد أمّن بطرس رسول الختان (أي اليهود) على كل ما قاله بولس الرسول صاحب إنجيل الغرلة (أي الأمم)، موضحاً أن ما وُضع في القديم، وُضع كأساس لنبني نحن عليه «نائلين غاية إيمانكم خلاص النفوس، الخلاص الذي فتش وبحث عنه أنبياء. الذين تنبأوا عن النعمة التي لأجلكم. الذين أُعلن لهم أنهم ليس لأنفسهم بل لنا كانوا يخدمون بهذه الأمور التي أُخبرتم بها أنتم الآن بواسطة الذين بشروكم في الروح القدس المرسَل من السماء، التي تشتهي الملائكة أن تطّلع عليها.» (٨)

اجتماع خطير
ورسالة من وراء الأزمنة:

وشهادة بطرس لبولس عظيمة: (أولاً): لأنه كان رسول الختان المؤتمن على

(٦) أف ٣:١٨. (٧) ١ كو٣:١١.
(٨) ١ بط ١:٩—١٢.

تراث اليهود، و(ثانياً): لأنه عاين المسيح الذي هو الأساس نفسه «و باني الكل»(٩) و(ثالثاً): لأنه حضر الإجتماع الخطير الذي تم على الجبل المقدس ــ جبل التجلي ــ الذي حضر فيه موسى وإيليا من وراء الأزمنة، وهما المعتبران البنائين الأولين للأساس، وسمع حديثاً داربينهما و بين السيد المسيح عن اكتمال زمان السر لإستعلان حقائق الظلال الأولى وتكميل رموزها بالخروج العتيد أن يكمله يسوع المسيح خارج أورشليم للبدء في بناء الخلاص العام. (١٠)

وهكذا تسلَّم بطرس مع يعقوب و يوحنا(١١)، المعتبرون أعمدةً في الهيكل الجديد، صورة الرسوم الأولى لبناء خلاص البشرية من يد منفذيه الأوائل موسى وإيليا اللذين اؤتمنا قديماً على إرساء حجر الأساس الخالد بالطقس والنبوة، فكان هو حجر الزاوية نفسه الذي قام عليه البناء كله. وكأنما كان مُعيَّناً في المقاصد الأزلية ترتيبُ هذه المقابلة الخطيرة ليتسلم بُناة الخلاص مواصفات الأساس الأول من يد واضعيه.

تصريح للبناء:

لذلك لما علم الرسل الثلاثة بانكشاف السر لزميلهم في الرسالة وشريكهم في الضيقة شاول المدعو أيضاً بولس، وتيقنوا من درايته بسر المسيح(١٢) كما لهم أيضاً، لم يترددوا لحظة في إعطائه يمين الشركة(١٣) كبنَّاء حكيم(١٤) ليبني على هذا الأساس عينه ذهباً فضة حجارة كريمة، لتكميل صرح الخلاص العام للأمم، بناء الله الذي هو أنتم. (١٥)

---

(٩) عب٣:٤.
(١٠) لو٩:٣١.
(١١) لو٩:٢٨.
(١٢) أف٣:٩، رو١٦:٢٥.
(١٣) غل٢:٩.
(١٤) ١كو٣:١٠.
(١٥) ١كو٣:٩.

الفصل الأول

خيمة في برِّيَّة

«من جلود تُخَسٍ وشَعْرمِعْزَى» (خر٢٥:٤و٥)

■

إن الأساس الذي أرساه الله في العهد القديم ليحمل بناء الخلاص الشامخ، حفره وعمقه جداً، ودعمه بطرق منوعة حكيمة، ليتحمل خلاصاً عظيماً بهذا المقدار، مدعواً إليه كل إنسان وشعب وأمة تحت السماء.

□

١ ــ خيمة في البرية: أو ملامح الكنيسة الأولى

من كان يصدق أن هذه الخيمة البسيطة المسقفة بجلود تخس وشعر معزى وغنم، المقامة على عصي وأوتدة، المحمولة على الظهور والأكتاف، تحوي في ظاهرها وفي باطنها سر الكنيسة وخلاص العالم كله؟

ولكن لنتقدم إليها بخشوع وإجلال، فلم تكن هذه الخيمة من تصميم إنسان بل كانت حسب المثال الذي أظهره الله لموسى على الجبل بعدما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة دون طعام أو شراب: «أنظر أن تصنع كل شيء حسب المثال الذي

أُظهر لك في الجبل» . (١٦)

إذن، فلم تكن الخيمة إلا صورة مادية صغيرة مجسمة لحقيقة روحية عظيمة غير مجسمة! عتيدة أن تُستعلن روحياً حينما يحين الزمان الذي يرتقي فيه الإنسان من الصورة إلى الحقيقة، ومن المادة إلى الروح، ومن الطفولة الساذجة إلى الرجولة الحكيمة، ومن الحدود العقلية إلى الرحب المطلق في الله.

نظر إليها بولس بعين الإستعلان فرآها «شبه السمويات وظلّها كما أُوحي إلى موسى وهو مزمع أن يصنع المسكن» . (١٧)

والسمويات في اعتبار الإنجيل هي الأمور المتعلقة بالإنسان الروحي وصلة الإنسان بالله. أي أن الخيمة كانت تشبيهاً للصلة التي تربط الإنسان بالله وظلاً لحقيقة هذه الصلة التي ستستعلن يوماً فتصير نوراً لا ظلاً، فيعرف كل إنسان مكانه من الله ومكان الله فيه.

كانت من خارجها لا منظر لها يمكن أن نشتهيه، فخارجها جلود تخس وجلود كباش. (١٨) أما من داخلها فكانت مزينة بأنواع كثيرة، بَزّ أي حرير أسمانجوني (أزرق)، وكتان نقي أبيض، وذهب مع فضة، وأخشاب عطرة، وبخور زكي، وخبز إلهي (١٩)، ومنارة... أشياء نلتزم حدود التفسير فيها ما التزمه بولس الرسول «أشياء ليس لنا أن نتكلم عنها بالتفصيل» . (٢٠)

(١٦) خر٢٥: ٤٠، عب٨: ٥.
(١٧) عب٨: ٥.
(١٨) خر٣٦: ١٤.
(١٩) خر٢٥.
(٢٠) عب٩: ٥.

ولكن كل ما فيها بل واسمها كان يشير إشارة صريحة إلى حقيقتها: «خيمة الإجتماع» أي اجتماع الله مع شعبه «حيث أجتمع بكم لأكلمكم هناك. وأجتمع هناك ببني إسرائيل فيُقدَّس بمجدي، وأُقدِّس خيمة الإجتماع. والمذبح. وهارون وبنوه أقدسهم لكي يكهنوا لي. وأسكن في وسط بني إسرائيل وأكون لهم إلهاً» . (٢١)

وهذا هو أول معنى للكنيسة، فالكنيسة ليست إجتماع مؤمنين بل إجتماع الله بالمؤمنين كما أنه ليس إجتماعاً وحسب، بل وجود في الحضرة الإلهية لسماع كلام ونوال معرفة للحياة.

ونحن لو فحصنا كل الطقوس التي فُرض على الكهنة والشعب ممارستها في الخيمة نجد أن جميعها تهدف نحو غاية واحدة هي حضور الله وسط شعبه!

(٢١) خر٢٩: ٤٢—٤٥.

٢ ـــ حضور الله في الخيمة

حالة ما قبل الكنيسة:

ليس من الهيِّن أن يحل الله وسط شعب، وخاصة إذا كان لا يعرفه. ونحن لو نظرنا إلى العالم آنئذ لوجدنا أن الإنسان عموماً قد أفسدته الخطية، فصارت جزءاً من كيانه، وناموساً متسلطاً على أعضائه، فصارت أعضاؤه آلات إثم وخطية ونجاسة. وهيجت الخطية غرائزه الحيوانية فصار جسده متسلطاً على تفكيره وسلوكه، واشتعلت شهوته للفساد؛ والنتيجة أن اظلمَّ فكره وانصدَّ قلبه عن تقبُّل الحق المعلن في الخليقة، وهبط تفكيره وانحط إلى الدرجة التي فيها خضع وعبد الحشرات والزحافات والبهائم.

ولم تكن هذه حالة إسرائيل فقط بل هكذا كان الإنسان!!

ولكي يرفع الله الإنسان من هذه الحالة البائسة ويحرره من سلطان الخطية ومن ظلمة الجهل، كان لابد أن يبدأ بوحدة متجانسة، فيكوِّن شعباً يجمعه تحت قيود خاصة، و يعزله عن باقي الشعوب، ثم يتعهده بالتعليم شيئاً فشيئاً إلى أن يبلغ به إلى المستوى البشري الكامل الذي يمكن أن يخرج منه رسل للعالم كله.

تبنِّي الله لشعب خاص:

هذا ما عمله الرب بطول أناة، أخرج إبراهيم من أرضه وعشيرته إلى فلسطين و بارك نسله ثم نقلهم إلى مصر، وعاشوا هناك كوحدة مستقلة، ولكنهم اكتسبوا شيئاً من حضارة الفراعنة فأخذوا معرفة في جميع فروع الحياة، من زراعة ونسيج وصباغة ونحت و بناء وسباكة ونجارة وتصو ير وطب وفلك وحكمة ولاهوت؛ ثم

عزلهم في البرية بعيداً عن كل المؤثرات؛ و بدأ في تصفيتهم وتأديبهم؛ وأمات كل الجيل الذي خرج من مصر، حوالي ستمائة ألف[٢٢] إلا إثنان فقط احتفظ بهما كشهادة: كالب بن يَفُنَّة و يشوع بن نون. ولكن بقية نسلهم أدخلهم كنعان بعد ما أكمل تهذيبهم كشعب مستقل له إيمانه وطقوسه وعوائده وتقاليده وأسماؤه!!

وهكذا أكمل الرب الخطوات التمهيدية الأولى لتكو ين شعب خاص، رباه كما يربي الأب طفلاً عز يزاً له. وهل يفترق تكو ين شعب بدائي وتر بيته وتثقيفه عن تر بية نفس بشر ية أو طفل؟

ولو تتبعنا الطر يق المتدرج الذي استخدمه الرب في تر بية وتعليم شعب إسرائيل، لواجهنا منهجاً أصيلاً في التربية في كافة نواحيها الثقافية: جسدية، وعقلية، وروحية، ينسجم انسجاماً بليغاً مع حاجات النفس البشر ية[٢٣]، ولاكتشفنا الأساس الذي تقوم عليه الكنيسة.

هكذا كانت تربية شعب إسرائيل وإعداده لقبول الإيمان الحقيقي بالله، ومعرفة الأصول الأولى للخلاص والفداء وتذوق مبادىء الحر ية الأولى، بمثابة حقل نموذجي للإيمان والحق والحر ية، أُخذت بذاره المختارة المنتقاة وأُلقيت في تر بة العالم الواسع، فنمت وصارت طعاماً للإنسان.

الله لم يتحيز لإسرائيل:

فالله لم يكن متحيزاً لإسرائيل حينما اختاره، ولا متجنياً على بقية الشعوب حينما أهملها زمناً؛ فالعالم كله كان مختاراً في إسرائيل. والشعوب جميعاً كانت ممثَّلة فيه.

---

(٢٢) خر ٣٧:١٢؛ ٢٦:٣٨؛ عد ٤٦:١، ٣٢:٢.

(٢٣) هذا ما قدمناه في كتاب: "الخدمة" وما يتعلق بها من أصول في التربية المسيحية.

فإسرائيل كان إنسان البشرية الذي أُعدَّ من أجلها ليكون خميرة لها!

الإعداد للحضور الإلهي:

نقرأ في أسفار الخروج واللاويين والعدد، وصايا وفرائض وطقوساً دقيقة وكثيرة، فُرض على موسى وهرون وأبنائه واللاويين وبقية الشعب القيام بها لحضور الله في الخيمة، يمكن تلخيصها في ثلاث كلمات:

١ ـــ التطهير بالماء.

٢ ـــ التكريس بدهن المسحة.

٣ ـــ التقديس بالدم.

هذه العناصر الثلاثة كانت هامة ولازمة منذ أول يوم وُهب فيه للإنسان أن يوجد كشعب أو جماعة في حضرة الله القدير، ولا تزال هي هي كما كانت منذ ذلك اليوم إلى الآن العناصر التي يتم للإنسان بها التطهير والتكريس والتقديس.

وكان يلزم أن يكون في الخيمة حجاب ووسيط، فالحجاب يحجب قدس الأقداس حيث التابوت الذي من على غطائه يتكلم الله مع الوسيط إن كان موسى أو رئيس الكهنة، الذي يجب أن يكون قد أجرى التطهير والتكريس والتقديس أولاً، وأن يكون في يده دم كجواز مرور بين الشعب والله داخل الحجاب.

وهكذا ولازال، طالما توجد خطية، فلابد من **الماء والزيت والدم والحجاب والوسيط.**

المقابلة الأولى:

كان يوم تنصيب الخيمة في البرية؛ بوضعها البدائي المتنقل على الرمال وجلودها الخشنة، تعبيراً واقعياً عن اقتناء الله لأول كنيسة للإنسان، كنيسة البرية الخشنة، شعب إسرائيل الصلب الرقبة، الذي يمثل كل شعب، بل كل نفس، يوم

أن يلاقيها الله أول مرة وهي تائهة شريدة في برية العالم منجَّسة في خطاياها.

قصة خطوبة عجيبة:

هناك في سفر حزقيال يصف الله هذه المقابلة بالذات، ويقص بالتشبيه والرمز قصة الكنيسة الأولى أو النفس المهانة المرذولة، والشعب المضطهد الهارب من نير العبودية ومن سلطانها القاسي، كيف وجده وكيف حنَّت أحشاؤه عليه وكيف خطبه لنفسه:

ـ «أما ميلادكِ يومُ وُلدتِ فلم تُقطع سُرَّتك ولم تُغسلي بالماء للتنظُّف، ولم تُملَّحي تمليحاً ولم تُقمَّطي تقميطاً. لم تشفق عليك عين لتصنع لكِ واحدة من هذه لترقَّ لكِ. بل طُرحتِ على وجه الحقل بكراهة نفسك يوم وُلدتِ. فمررت بكِ ورأيتكِ مدوسةً بدمكِ فقلتُ لك بدمكِ عيشي. قلت لك بدمك عيشي. جعلتك ربوة... فربوتِ وكبرتِ وبلغت زينة الأزيان. نهد ثدياك ونبت شعركِ وقد كنتِ عريانة وعارية. فمررت بكِ ورأيتكِ، وإذا زمنك زمن الحب. فبسطت ذيلي عليك وسترت عورتك وحلفت لك ودخلت معك في عهد، يقول الرب، فصرتِ لي. فحممتك بالماء وغسلت عنك دماءك ومسحتك بالزيت. وألبستك مطرزة ونعلتك بالتُّخس وأزرتك بالكتان وكسوتك بزاً. وحليتك بالحلى فوضعت أسورة في يديك وطوقاً في عنقك. ووضعت خزامة في أنفك وأقراطاً في أذنيك وتاج جمال على رأسك.» (٢٤)

هذه هي قصة أول كنيسة: شعب إسرائيل الذي وُلد بلا وطن في بريةٍ (المعبَّر عنه بالأم)، وبلا بيت (المعبَّر عنه بالأب)، ولكن الرب لاقاه واختاره شعباً، وحل في وسطه وأعطاه عهداً، وضمه إليه فسُمِّي باسمه: شعب الله المختار. غسله من نجاسات أعماله وشفاه من أمراضه وعلله، وألبسه معرفة (المعبَّر عنها

(٢٤) حز١٦: ٤ـ١٢.

بالذهب(٢٥))، وحريراً الذي هو تبررات القديسين(٢٦)، وكتاناً الذي هو ثياب العفة والطهارة(٢٧)، وبسط ذيله عليه ليستر عورته، الذي يذكرنا بلباس الجلد الذي صنعه لآدم الذي يرمز إلى الناموس. وألبسه تاجاً تعبيراً عن دخوله ضمن خاصة الملك.

وهكذا تتطابق أوصاف الخيمة، خيمة الإجتماع، من الخارج بجلودها الخشنة ومن الداخل بزيناتها، مع ما صنعه الرب مع شعب إسرائيل.

(٢٥) رؤ٣:١٨.
(٢٦) رؤ١٩:٨.
(٢٧) رؤ١٥:٦.

٣ ـــ قصة كل كنيسة

ولم تكن خيمة الإجتماع التي في البرية أو قصة حزقيال قصة يقرأها شعب إسرائيل، بل حقيقة حية خالدة تعبِّر عن قبول الله لأول كنيسة للإنسان، ولا زالت هي بعينها قصة كل كنيسة يلاقيها الله. ألم تكن هي قصة كنيسة كولوسي، وأفسس، وكورنثوس، وتسالونيكي، وروما، والإسكندرية؟ وكل كنيسة في العالم! يوم أن قابلها الله أول مرة، وهي في أدناس الخطية ورذائل العبادات الوثنية ورجاسات الأمم؟ فقبلها وغسلها بمعمودية التوبة للطهارة، ودهن المسحة للميلاد الجديد، ونضح عليها من دمه للتقديس، ثم اتخذها لنفسه عذراء عفيفة لا عيب فيها ولا دنس؟

وكان بولس رسول الأمم لا يكف عن أن يذكرهم بذلك بسلطان، لأنه هو الذي خطبهم واحدة فواحدة لسيده!... اسمعه يقول لكنيسة كولوسي:
ـــ «أنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين وأعداء في الفكر في الأعمال الشريرة، قد صالحكم الآن في جسم بشريته بالموت ليحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه... عاملاً الصلح بدم صليبه.»(٢٨)

ويذكِّر الرسول كنيسة أفسس: «أذكروا أنكم أنتم الأمم قبلاً في الجسد المدعوين غرلة... أنكم كنتم في ذلك الوقت بدون مسيح أجنبيين عن رعوية إسرائيل وغرباء عن عهود الموعد. لا رجاء لكم وبلا إله في العالم. ولكن الآن في

(٢٨) كو١:٢١و٢٠.

المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح.»[٢٩]

إذن، لم تكن خيمة الإجتماع الخشنة من الخارج والجميلة المزينة بحكمة بأمثلة ورموز من الداخل، وحلول الله فيها مع الشعب، لم تكن إلا الصورة الأولى لكل كنيسة، والأصل الذي يحمل دقائق الصلات التي تربط الإنسان بالله.

المثال الذي وضعه موسى مثال متقن:

ولم يكن في طوق موسى أن ينصب مثالاً لحقيقة الكنيسة الخالدة التي رآها على الجبل، أعظم وأبدع مما عمل. لقد رسم الخطوط الأساسية التي تحدد معنى كنيسة، ومعنى حلول الله، ومعنى الخطية، ومعنى المصالحة، ومعنى الوسيط بالدم أي الفداء!! إنه صمم البذرة الروحية التي تحمل كل أوصاف وصفات ومميزات الكنيسة العامة الخالدة التي سوف تنبثق من بطن الزمن كشجرة حياة تحمل آلاف البذور المطابقة.

من هي هذه البنت:

ولكن من هي هذه البنت التي وُلدت في برية العالم بلا يد رحيمة تشفق، إلا نفسي أيضاً ونفسك، التي وُلدت وعاشت زماناً بعيداً عن الله، تعمل فيها الأهواء والشهوات مستعبدة تحت سيطرة الشيطان والخطية التي يصفها بولس الرسول في خجل الإعتراف: «وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا، التي سلكتم فيها قبلاً حسب دهر هذا العالم حسب رئيس سلطان الهواء، الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية. الذين نحن أيضاً جميعاً تصرفنا قبلاً بينهم في شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً.»[٣٠]

---

(٢٩) أف ٢: ١١ــ١٣.

(٣٠) أف ٢: ١ــ٣.

هكذا وجدنا الله حين دعانا وطهرنا بغسل الماء بالكلمة[٣١]، وشفى جراحنا بزيت رحمته[٣٢]، وقدّسنا بدمه وأدخلنا مع خاصته، بل وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات.[٣٣]

إذن، فقد شملت الخيمة لا الكنيسة المجتمعة مع الرب فحسب، بل وعبَّرت عن حلول الله في النفس وجعْلِها هيكلاً روحياً لسكناه، فيه قُدس الأقداس في الداخل في القلب، حيث يسكن روح الله فينا و يتكلم معنا و يشفع فينا بأنَّات لا يُنطق بها[٣٤]، وحيث القُدْس أيضاً الذي فيه الخبز الحي النازل من السماء[٣٥]، والدم الذي يطهر ضمائرنا من الأعمال الميتة لخدمة الله الحي[٣٦]، والمنارة التي هي نور استعلان الكلمة لمعرفة الحق.

لذلك لم يتردد بولس الرسول أن يعلن هذا السر: إننا هياكل حقيقية: «أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم... لأن هيكل الله مقدس الذي أنتم هو»[٣٧]؛ وإن كان الجسد يظهر غير منسجم مع زينات الروح الوديع الهادىء في الداخل وجمال النفس المتحلية بتبررات القديسين، فلا يضيرنا ذلك في شيء، لأن جلود التخس والمعزى والغنم الخشنة كانت أيضاً غير منسجمة مع الحرير الأزرق الذي تحتها. وعلى أي حال فالجسد وعاء ووقاء للنفس الرهيفة «أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله».[٣٨]

---

(٣١) أف ٥: ٢٦.

(٣٢) يع ٥: ١٤.

(٣٣) أف ٢: ٦.

(٣٤) رو ٨: ٢٦.

(٣٥) يو ٦: ٤٨ــ٥٠.

(٣٦) عب ٩: ١٤.

(٣٧) ١ كو ٣: ١٦و١٧.

(٣٨) ١ كو ٦: ١٩.

٤ ـــ المواصفات الأولى للمعمودية في أساسات الخيمة

ظلت خيمة الشهادة تنتقل مع الشعب أربعين سنة في البرية إلى أن بلغت حافة الأردن، وهناك توقف الشعب بأمر إلهي ثلاثة أيام[٣٩] أمام نهر الموت (البحر الميت)، ثلاثة أيام بالذات وهي المدة اللازمة لتكميل معمودية الموت!! ثم صدر الأمر بالعبور فعبروا إلى شاطىء أرض الميراث، كنعان الراحة، أرض الخيرات.

إذن، فقد جازت الخيمة نهر الأردن، نهر المعمودية الشهير، نهر الموت للقيامة، وجاز الشعب معها بل جاز الشعب بواسطتها؛ لأنه حالما لمست أقدام الكهنة حاملي التابوت حافة النهر انشق الأردن بمجد عظيم، وهربت المياه من تحت أرجل الكهنة؛ انشق الأردن كما انشق الموت من وسطه، وخرج التابوت وخرج معه الشعب إلى شاطىء الحياة الآخر، كما خرج الرب من القبر في ثالث يوم!!

إذن، فقد وُضعت في أساسات خيمة البرية مواصفات المعمودية بدقة: كيف سيجوز الرب الموت بنفسه ويخرج غالباً فتجوز معه الكنيسة وكل نفس إلى شاطىء القيامة ليرث هو الأمم «إسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك»[٤٠] وترثه الأمم أيضاً «لأن الأمم شركاء في الميراث والجسد»[٤١]!!

(٣٩) يش ١: ١١، ٣: ٢.
(٤٠) مز ٢.
(٤١) أف ٣: ٦.

الفصل الثاني

ذبيحة واحـــدة

■

المواصفات العامة لذبيحة المسيح في أساسات الخيمة

الدم:

كان الدم في خيمة البرية هو الختم الملكي الذي يتقدس به كل شيء فيصير قدساً للرب، و بغيره لا يصير شيء مقدساً على الإطلاق، حتى رئيس الكهنة نفسه: «لأن موسى بعدما كلم جميع الشعب بكل وصية بحسب الناموس. أخذ دم العجول والتيوس مع ماء، وصوفاً قرمزياً وزوفا ورشّ الكتاب نفسه وجميع الشعب قائلاً: هذا هو دم العهد الذي أوصاكم الله به. والمسكن أيضاً وجميع آنية الخدمة رشها كذلك بالدم». «وكل شيء تقريباً[١] يتطهر حسب الناموس بالدم. و بدون سفك دم لا تحصل مغفرة.»[٢]

والدم هو الحياة كما يؤكد العلم وكما ذكر الوحي: «الدم هو الحياة»[٣]، و«حياة الجسد في الدم»[٤]. إذن، فسفك الدم معناه بذل الحياة والذي يقدم دمه يقدم حياته.

(١) ذكر الوحي كلمة «تقريباً» هنا لأنه يوجد تطهير بالماء وآخر بالنار.
(٢) عب ٩: ١٩ــ٢٢ ولا ١٧: ١١.
(٣) تث ١٢: ٢٣، تك ٩: ٤ حيث النفس = الحياة.
(٤) لا ١٧: ١١.

ذبيحة بلا عيب:

كان الطقس يشدد على أن تكون الذبيحة بلا عيب وإلا تُرفض و يُرفض مُقدّمها؛ لذلك كان الكاهن يهتم غاية الإهتمام بفحصها على ضوء النهار، كان يفحص أعضاءها عضواً عضواً، وحتى بعد أن يذبحها يظل يعمل فيها بسكينه على المذبح، فاحصاً أحشاءها، ولحمها، وعظامها، حتى يطمئن تماماً أنها بلا عيب وحينئذ يشعل النار.

صحيح أن هذا يشير إلى المسيح؛ لأنه «حمل الله الذي بلا عيب»(٥). ولكن يلزمنا أن نتعمق كلمة «بلا عيب» وسببها لأن الرمز دائماً ليس فقط يشير إلى المرموز إليه، بل ويحمل أيضاً شرحاً لعمل المرموز إليه. فالطقس كان يشدد على أن تكون الذبيحة بلا عيب؛ حتى إذا وقف الخاطىء أمام الله معترفاً بخطاياه و يده على رأس ذبيحته يحس و يقتنع أن الله ينظر إليه في «عدم عيب» ذبيحته التي يقدمها عن نفسه، وفي نفس الوقت يكون «عدم عيب» الذبيحة إمكانية ضمنية لتحمُّلها عيب المعترف وخطاياه، فتصير الذبيحة مستحقة للموت عوضاً عنه، أما هو فيخرج مبرراً من أمام الله معتوقاً من حكم الموت!

ولو تعمقنا فكرة الذبيحة الحيوانية في الطقس القديم، نجدها لائقة جداً ومناسبة لعملها؛ إذ كان المطلوب منها تطهير الجسد فقط، والإعفاء من حكم الموت. أما من جهة إشارتها لذبيحة المسيح: فكانت غاية في الإحكام؛ إذ كان يشترط فيها ما يأتي:

(أولاً) أن تكون طاهرة؛ أي تكون من الحيوانات المسموح بأكلها، إشارة إلى

(٥) يو١: ٣٦، ١بط١: ١٩.

أكل المسيح «من يأكلني فهو يحيا بي»(٦). فهي لم تكن ذبيحة إنسانية مثلاً كما كان يفعل الوثنيون، ولا كانت ذبيحة غير مأكولة كما كان يفعل بعض الأمم.

(ثانياً) كان يشترط أيضاً أن تكون بلا عيب؛ أي غير مريضة ولا ناقصة الخلقة ولا مكسورة ولا مرضوضة، حتى تُقبل أمام الله. وذلك مناسب أدبياً إذ كيف تحمل عيب مقدمها وهي نفسها بها عيب؟ أو كيف يتبرر صاحبها بتقديمها عن نفسه، إن لم تكن هي بريئة و بلا عيب البتة؟ كذلك فهي تشير لذبيحة المسيح التي كانت بلا عيب حقاً.

(ثالثاً) كانت ذبيحة حيوانية غير عاقلة؛ أي غير قابلة للخطية والتعدي؛ لذلك أمكن أن توضع بديلاً عن الخاطىء المعترف بخطيته(٧)؛ و براءتها من الخطية براءة كاملة جعل موتها معتبراً فدية أو ضحية حقيقية(٨)، كذلك كان عدم قابليتها للخطية إشارة رائعة إلى السيد المسيح الذي لم يخطىء قط، ولم يكن ممكناً أن يخطىء قط؛ بسبب لاهوته الذي جعله معصوماً عن الخطأ عصمة كاملة، لذلك أمكنه أن «يحمل خطايانا في جسده على الصليب»(٩) دون أن يكون خاطئاً!! بل واستطاع أن يقال عنه إنه «صار خطية لأجلنا»(١٠) دون أن يكون هو خاطئاً!!

تكرار ممل:

ولكن للأسف! كان يلزم أن تقدّم ذبائح كل يوم، و يُسفك دمها كل يوم؛ لأن فسادها الطبيعي كان يمنع دوام أثره!! لأنه دم تيوس وعجول! فالحياة التي فيه أرضية مؤقتة.

(٦) يو٦: ٥٧.
(٧) لا٥: ٥.
(٨) تك٢٢: ١٣.
(٩) ١بط٢: ٢٤.
(١٠) ٢كو٥: ٢١.

وكان تكرار سفكه كل يوم بمثابة اعتراف بعدم نفعه[١١]، وإشارة هامة إلى لزوم ذبيحة تبقى حية تقدم مرة واحدة[١٢]؛ فلا يمنعها الموت عن البقاء[١٣]، وإذ تظل كما هي حية يظل دمها فعالاً إلى أبد الآبدين.

كذلك فإن دم هذه الحيوانات لم يقوَ إلا على طهارة الجسد فقط؛ لأنه دم ترابي، وطهارته ليست روحية بل جسدية فحسب؛ لذلك كان لا يقدّس إلا إلى طهارة الجسد فقط[١٤]؛ أي جسد الإنسان الذي يقدمها عنه. من أجل ذلك كانت عودة الجسد إلى النجاسة تحتاج إلى إعادة سفك دم بذبائح جديدة متكررة «لا يمكن من جهة الضمير أن تكمل الذي يخدم.»[١٥]

وكان هذا التكرار الممل يشير إلى عجز واضح وقصور عن تكميل الطهارة وتقديس الضمير وإعادة سلامة النفس ونقاوتها، فكان تكرارها إشارة وكناية عن ضرورة مجيء ذبيحة كاملة تكمل ما عجزت عنه هذه الذبائح: «دم المسيح الذي بروح أزلي قدم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي.»[١٦]

لأن الطهارة الحقيقية ليست طهارة الجسد أو ما يدخل الفم[١٧]، بل طهارة الضمير والقلب وكل ما يخرج من الفم.

فالذي يتطهر ضميره وقلبه وعقله يصير عنده كل شيء طاهراً، ولن يتم ذلك إلا

(١١) عب٧: ١٨.
(١٢) عب١٠: ١٠، عب٧: ٢٧.
(١٣) عب٧: ٢٣.
(١٤) عب٩: ١٣.
(١٥) عب٩: ٩.
(١٦) عب٩: ١٤.
(١٧) مت١٥: ١١.

بدم روحي حي ينفذ إلى الضمير ويميز أفكار القلب ونياته[١٨]، و ينضح عليه روح طهارة وقداسة، لأن دم المسيح الذي بروح أزلي يتحد بالنفس والروح والعقل بالإيمان، فيقدس إلى طهارة النفس والروح والجسد أيضاً.

فهل يمكن أن ننال هذا الحق الإلهي؟ بأن نطهر قلوبنا وضمائرنا بدم المسيح؛ فنحس حينما نقف أمام الله أننا أطهار في دم المسيح؟ صحيح نحن خطأة في أنفسنا ولكن نحن أطهار حتماً في دم المسيح!! **نحن فينا خطية ولكن ليس علينا خطية!!**

تعدد أنواع الذبيحة:

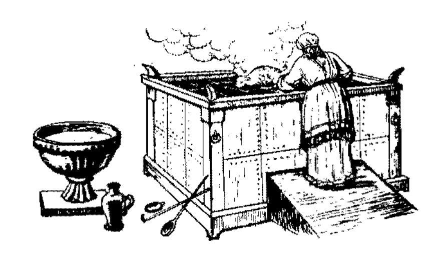
إن قارىء سفر اللاويين يصيبه لأول وهلة شيء من السأم و يتشتت فكره من كثرة الذبائح وأنواعها وأسمائها وتعدد طرائق تقديمها؛ ولكن ما العمل وحقيقة الخطية هي التي ألزمت الطقس بذلك؟ فالخطية موضوع متعدد النواحي، وحقيقة الخلاص منها أمر ليس بسيطاً ولا سهلاً، فقد استلزمت أكثر من ذلك بلا قياس؛ إذ استلزمت أن يتجسد ابن الله و يتألم و يُصلب ويموت!!

وتعدد الذبائح وأنواعها واختلاف طرائق تقديمها في العهد القديم ليست قصة يمكن إهمالها أو حكاية قديمة لا موضع لها عندنا الآن، حاشا! فقد سبق أن قلنا ونكرر ما قاله في ذلك بطرس الرسول عن مثل هذه الحكايات بالذات وعن الذين كانوا يخدمونها «أنهم ليس لأنفسهم **بل لنا** كانوا يخدمون بهذه الأمور التي أُخبرتم بها أنتم الآن»[١٩]!!

(١٨) عب٤: ١٢.
(١٩) ١بط١: ١٢.

إذن فموضوع الذبائح لا يزال يمس حياتنا في الصميم، وجميع الخدمة التي كان يقوم بها الكهنة قديماً لا تزال ذات صلة بفكرنا في الحاضر، وتحتاج إلى اهتمام ودراسة وتأمل؛ ويمكننا أن نطوف بأنواع الذبائح في غير تباطؤ، دون أن يصيبنا أي ملل أو سأم؛ لأننا سنكتشف فيها خلاصنا العجيب، وكيف أكمل المسيح كل درجاته ومستلزماته على الصليب.

وننبه ذهن القارىء أننا لا نقدم بحثاً في الطقوس، ولا دراسة في العهد القديم؛ ولكننا نكشف للقارىء عن الأساس الراسخ المتين الذي بنى عليه المسيح الكنيسة، ونقدم أوجه الصليب المتعددة النواحي! حتى لا نفقد شيئاً من حقنا في ذبيحة المسيح.



التأمل الأول في معنى تعدّد الذبائح في العهد القديم

كل ما سنقوله تحت هذا العنوان يتلخص في هذه الكلمات: توضيح عمل ذبيحة المسيح!! لم يكن ممكناً قط أن يوفي العهد القديم توضيح عمل ذبيحة المسيح بنوع واحد من الذبائح؛ أو في طقس واحد من الطقوس! فإن كنا نواجه خمسة أنواع من الذبائح(٢٠)، أو التقدمات التي هي: ذبيحة المحرقة، وذبيحة الخطية، وذبيحة الإثم، وذبيحة السرور أو السلامة، وتقدمة القربان؛ فهذا هو الحد الأدنى الذي يمكن فيه توضيح عمل ذبيحة المسيح الثمينة على الصليب!

لأن المسيح لم يعمل عملاً بسيطاً تجاه حاجات الإنسان وأعوازه وعيوبه وخطاياه المتعددة؛ بل عمل عملاً استطاعت هذه الذبائح الخمس بالجهد أن تعبّر عنه تعبيراً... مجرد تعبير.

الوجه الأول من أوجه الصليب: ذبيحة المحرقة(٢١)

إن أول وأهم وجه من أوجه الصليب هو: طاعة الإبن للآب! هذه الطاعة التي ما فتىء المسيح يتكلم عنها كل أيام خدمته حتى على الصليب.

ـــ «ها أنا ذا أجيء لأفعل مشيئتك يا الله.»(٢٢)

ـــ «لأني قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني.»(٢٣)

---

(٢٠) لا ٧: ٣٧.
(٢١) لاويين ١.
(٢٢) عب ١٠: ٧.
(٢٣) يو ٦: ٣٨.

— «الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي لكن الآب الحالّ فيَّ هو يعمل الأعمال.»(٢٤)
— «ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني.»(٢٥)

ونراه يكمل واجبات الطاعة تكميلاً، حتى إلى الموت!! ثم إلى آخر حدود الموت أي إلى الصليب!! «أطاع حتى الموت، موت الصليب»(٢٦)!!

ولم يفُته — وهو يتقدم نحو الصليب أن ينبه أذهاننا إلى أنه إنما يموت أولاً وقبل كل شيء ليكمل مشيئة الآب:
— «الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها؟؟». (٢٧)

ربما يبكي القارىء عند هذا الحد، وله حق في أن يبكي، لأنها طاعة عجيبة ساقت مخلصنا إلى الموت كشاة وديعة مسكينة تساق إلى الذبح... ولكن مهلاً؛ إن طاعته كانت عن سرور لا عن حزن أو اكتئاب أو اضطرار؛ اسمعه يقول:
— «طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله.»(٢٨)

لقد كان الصليب في نظرنا دائماً عملاً يختص بالخطية، ولكن يليق بنا الآن أن نكشف ناحية جديدة أخرى فيه، تختلف كل الإختلاف عن معنى الخطية: وهي هذه الطاعة العجيبة التي أكملها الإبن نحو الآب وتكميل مشيئته تماماً، كاشفاً بعمله الرائع عن نوع الصلة الخاصة التي ارتبط بها الإبن بالآب، التي نلمح فيها حدوداً عميقة لمعنى البنوة؛ فهو لم يأخذها اختطافاً، ولا ادَّعاها ادعاءً مبهماً، ولكنه

(٢٤) يو١٤: ١٠.
(٢٥) يو٩: ٤.
(٢٦) في٢: ٨.
(٢٧) يو١٨: ١١
(٢٨) يو٤: ٣٤.

حقق واجباتها أيما تحقيق!! وهو بطاعته العميقة كشف ضمناً عن بره الشخصي؛ فالذي استطاع أن لا يعمل مشيئته قط بل مشيئة الله فقط كلاً وجزءاً، هذه التي أكملها بكل حدودها، قد أوضح بكل تأكيد أن له مثل هذه المشيئة عينها، وإن كان قد احتجزها احتجازاً وتخلى عنها تخلياً(٢٩)؛ حتى حينما يكمل مشيئة الآب يبرهن بغير لبس ولا إبهام على أنه والآب واحد!!(٣٠)

لذلك كان صليب ربنا يسوع موضع مسرة فائقة لقلب الآب، وكما يقول طقس القداس الإلهي في دورات البخور «هذا الذي أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصليب عن خلاص جنسنا، فاشتمَّه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة.»(٣١)

هذا الوجه اتضح لنا جداً في طقس ذبيحة المحرقة، التي هي أولى الذبائح، والتي بدونها لا يمكن تقديم ذبيحة الخطية ولا ذبيحة الإثم ولا ذبيحة السرور بل ولا تقدمة القربان أيضاً. ومن وضعها في أول قائمة الذبائح، أدركنا أنه لولا إرضاء الإبن للآب وتقديم طاعته له حتى الموت، ما أمكن أن يكون هناك مغفرة خطايا، أو سلام للإنسان. أي أنه لولا طاعة المسيح أولاً، وتقديم نفسه كذبيحة محرقة، ما أمكن أن يقدم نفسه على الصليب كذبيحة خطية وتُقبَل هذه الذبيحة.

لذلك لا نجد في ذبيحة المحرقة أي ذكر للخطية، بل يدعوها الطقس «محرقة وقود رائحة سرور للرب»(٣٢). وفي مكان سابق يقول عنها أنها «للرضى». (٣٣)

(٢٩) في٢: ٧.
(٣٠) يو١٠: ٣٠.
(٣١) رفع البخور — اعتراف الشعب.
(٣٢) لا١: ١٣.
(٣٣) لا١: ٣.

فالمحرقة، إذن، ذبيحة مسرة ورضى أمام الله، وهكذا كان الصليب أيضاً، بل ويجب أن يكون كذلك في ذهننا؛ فأول عمل أكمله المسيح على الصليب هو تقديم نفسه ذبيحة محرقة في مسرة الطاعة إيفاءً لواجبات البنوة في التجسد!

إذن فقبل أن نطرح خطايانا على صليب ربنا، يلزمنا أن نتقدم إليه في طاعة الشاة التي تُساق إلى الذبح. وقبل أن نعرف مشيئة الآب السمائي، يلزمنا أن نخضع لها أولاً بسرور، مهما كانت مُرَّة ومهما قادتنا حتى إلى الصليب. اسمع ما يقوله الحمل الوديع:

— «لهذا يحبني الآب لأني أضع نفسي، لآخذها أيضاً.» (٣٤)

ثم يستدرك القول لئلا يتبادر إلى الذهن أنه قَبِل الصليب عن اضطرار:

— «ليس أحد يأخذها مني بل أضعها أنا من ذاتي.» (٣٥)

ولكن هل يمكن أن ننال هذه الطاعة، طاعة المحرقة أو طاعة الصليب، كما أكملها المسيح؟

الجواب نجده واضحاً في طقس ذبيحة المحرقة إذ يقول الطقس: إن مقدِّم ذبيحة المحرقة «يضع يده على رأس المحرقة فيرضى عليه». (٣٦) هنا **وضع اليد** يهيء لمقدم الذبيحة أن يشترك في صفات الذبيحة؛ وما لم يكن ممكناً أن يعمله للرضى عنه (أي الإحتراق) يناله من تقديم الذبيحة لتُحرق عوضاً عنه. وهكذا نجد أن الإشارة واضحة وبليغة: أن المؤمن ينال **في** المسيح طاعته لله الآب. و ينال **مع** المسيح رضى الآب عنه!! إذ أننا شركاء في ذبيحة الصليب، لا بوضع اليد فقط بل والقلب بالإيمان **«مع المسيح صُلبتُ»** (٣٧)!!

---

(٣٤) يو١٠:١٧.
(٣٥) يو١٠:١٨.
(٣٦) لا١:٤
(٣٧) غل٢:٢٠.

شكراً لله بالمسيح، إذ صرنا بدم المسيح ذوي رائحة مقبولة لدى الله الآب(٣٨) وموضع رضى ومسرة، آخذين في أنفسنا ثمرة ذبيحة محرقة المسيح على الصليب! وما هي ثمرة ذبيحة المحرقة؟ يحددها الطقس بوضوح: «يضع يده على رأس المحرقة **فيرضى عليه للتكفير عنه**»، فالرضا يقدمنا للكفارة، والكفارة تقدمنا لإستحقاق قبول الصفح عن الخطايا السالفة؛ لأنه كيف يغفر الله لنا خطايانا وهو لم يرضَ عنا بعد؟ ولكن شكراً لله لأن المسيح صار ذبيحة رضى ومسرة عن كل الذين يتقدمون به إلى الآب!

ولو تأملنا في طقس تقديم ذبيحة المحرقة، نجد أن لها ترتيباً خاصاً دون سائر جميع الذبائح والتقدمات: إذ ينص الطقس على ضرورة سلخ الذبيحة وتقطيعها قطعاً وغسلها غسلاً بالماء، كل جوفها وأحشائها؛ وقطعها على المذبح ليظهر كل ما فيها أمام الله حتى أعماقها الداخلية. (٣٩)

ما هذا؟ أليست هذه إشارة إلى الفحص الذي جازه المسيح أمام الله من جهة عمله وسلوكه وخدمته وأقواله؟ فما وُجد فيه علة البتة بشهادة بيلاطس البنطي الذي صلبه (أي الذي ذبحه)(٤٠)؟ وشهادة إشعياء الذي شهد له من بعد «**لم يعمل ظلماً ولم يكن في فمه غش**»(٤١)، بل وشهد هو لنفسه وشهادته حق: «**من منكم يبكتني على خطية؟**»(٤٢) قال هذا يسوع، وهو يتقدم إلى الصليب شهادة لبر ذبيحته!!

---

(٣٨) ٢كو٢:١٥.
(٣٩) لا١:٦.
(٤٠) لو٢٣:٢٢.
(٤١) إش٥٣:٩.
(٤٢) يو٨:٤٦.

إذن فلنا حق جديد في دم المسيح نكتشفه من طقس ذبيحة المحرقة، فنراه واضحاً على الصليب: وهو بر المسيح الشخصي أمام الله الآب، الذي به نشعر أن لنا جراءة وقدوماً (٤٣) بل وقبولاً أيضاً أمام الله كل حين، فلا نعود نجوز مثل هذا الفحص المريع لأنه جازه عنا.

□

الوجه الثاني من أوجه الصليب: ذبيحة الخطية (٤٤)

في ذبيحة المحرقة السالفة عرفنا المسيح، كذبيحة محرقة، يتقدم إلى الصليب بمسرة ليكمل بر الطاعة، طاعة الإبن للآب مكفِّراً عن عدم طاعة الإنسان فقبله أبوه كذبيحة للرضى والمسرة.

ولكن في ذبيحة الخطية ينكشف وجه آخر من أوجه الصليب، فلا نسمع في ذبيحة الخطية أنها للرضى والمسرة ولا كأنها رائحة سرور (*)، بل نسمع فقط أن مقدِّمها يضع يديه عليها معترفاً بخطاياه فتُنقل خطاياه منه إلى ذبيحته؛ فتُساق الذبيحة للموت عوضاً.

هكذا أيضاً رأينا هذا العمل يكمل على الصليب إذ تقدم المسيح لله حاملاً خطايا وآثام ونجاسات الإنسان «الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر.» (٤٥)

إذن، فلا مجال للمسرة؛ وليس الوضع هنا وضع رضى، بل على النقيض تماماً

(٤٣) أف ٢: ١٨، ٣: ١٢.
(٤٤) لا ٤: ٣.
(٤٥) ١بط ٢: ٢٤.
(*) فيا عدا الإستثناء الوارد في لا ٤: ٣١.

نجد الآب يحجب وجهه عنه من هذه الناحية، أو على الأصح ينحجب وجه الآب عنه، بسبب ما كان يحمله من نجاسات الإنسان وخطاياه العديدة. أو بالإختصار، عندما كان في موقف العار والفضيحة «إذ صار لعنة لأجلنا» (٤٦). من أجل هذا أيضاً نسمعه على الصليب، الصليب الذي قَبِله بسرور أولاً، وتقدم إليه طائعاً مكملاً مشيئة الآب ـ يعود فيقول: «إلهي إلهي لماذا تركتني» (٤٧)؛ وما ذلك إلا لأنه وقف ضمناً موقف الخطاة أو بالحري موقف الخطية ذاتها: «الذي لم يعرف خطية صار خطية لأجلنا» (٤٨). ومعلوم جيداً لدينا أن الله لا يرى الخطية؛ من أجل ذلك احتجب وجه الله عن المسيح حامل الخطية على صورة ما.

لذلك عبَّر مخلصنا عن شناعة هذا الوجه من أوجه الصليب بقوله: «إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس» (٤٩)، مع أننا سمعناه في صورة الإبن البار الطائع يقول سابقاً: «الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها»!

إذن، في الصليب عملان متداخلان يظهران وكأنهما متعارضان، ولكن لم يدَعْ الطقس في القديم محلاً لتعارض ولا لإعتراض؛ فالمسيح أكمل على الصليب ذبيحتين معاً: ذبيحة محرقة للرضى والسرور، وذبيحة خطية ولعنة. وكان يليق به أن يفرح بالصليب و يُقبِل إليه كعلامة طاعة وإظهار برِّ البنوة، وكان يليق جداً أيضاً أن يرتعب و يفزع منه كخشبة عارٍ وعلامةِ لعنةٍ!!

ولطالما تبلبلت عقول الناس والشُراح بسبب هاتين الصورتين المقترنتين معاً في الصليب الواحد، مع أن الطقس الذي جمعهما في العهد الجديد، فرَّقهما وميَّزهما في

(٤٦) غل ٣: ١٣.
(٤٧) مت ٢٧: ٤٦.
(٤٨) ٢كو ٥: ٢١.
(٤٩) مت ٢٦: ٣٩.

العهد القديم بلا لَبْس ولا إبهام في ذبيحتي المحرقة والخطية.

وإذا قارنّا بين عمل الذبيحتين على الصليب، نجد أن ذبيحة المحرقة تعبِّر عن موقف المسيح على الصليب أمام الله ببره الشخصي، فينال الرضى والمسرة بالضرورة، بينما نجد ذبيحة الخطية تعبِّر عن موقف المسيح أمام الله وعليه نجاسات الإنسان.

لذلك، بينما نجد أن ذبيحة المحرقة كانت تُفحص بالسلخ والتقطيع والغسل؛ إشارة إلى الفحص الذي أثبت بر المسيح وقداسته، لا نجد مثل هذا الفحص في ذبيحة الخطية، بل على العكس كان يخرج بها الكاهن خارج الهيكل وخارج المحلة كلها، إشارة إلى عدم ترائيها أمام الله أو إلى عدم إمكانية رؤية الله لها توضيحاً لجُرم الخطية وشناعتها «فإن الحيوانات التي يُدخل بدمها عن الخطية إلى الأقداس بيد رئيس الكهنة تُحرق أجسامها خارج المحلة، لذلك يسوع أيضاً لكي يقدس الشعب بدم نفسه تألم خارج الباب. فلنخرج إذن إليه خارج المحلة حاملين **عاره.**» (٥٠)

وليلاحظ القارىء أن في ذات الوقت وعلى ذات الصليب ولذات الإبن الواحد تمت هاتان الذبيحتان معاً. ففي الوقت الذي احتجب فيه وجه الآب عن الإبن بسبب الخطية التي حملها عن الإنسان، كان في ذات الوقت وعلى الصليب هو هو بنفسه موضع فرح ومسرة وقبول ورضى الآب بسبب طاعته و بره وكماله الشخصي. إذن، فلا محل لقائل أن المسيح جاز فترة ما بعيداً عن الله أو أن الآب انفصل عنه وتركه، كشرح للقول «لماذا تركتني»؛ ولكنه كان يكمل عملين معاً.

(٥٠) عب١٣: ١١-١٣.

كذلك ليس صحيحاً ما يقوله بعض الشراح: إن المسيح عندما قال «إلهي إلهي لماذا تركتني» كان يتكلم بناسوته. هذا محض افتراء على المسيح وتقسيم فاضح لطبيعته الواحدة لأن ناسوته لم يفارق لاهوته قط لا في قول ولا في عمل، لا لحظة واحدة ولا طرفة عين.

كذلك أيضاً من يقول: إنه كان يتكلم كإنسان تحت الآلام عندما قال: «فلتعبر عني هذه الكأس» (٥١)، لأن المسيح في قوله: «لماذا تركتني» أو في قوله: «فلتعبر عني هذه الكأس» **لم يتغير عن المسيح** الذي قال: «أنا والآب واحد» (٥٢)، و«الآب الحالَّ فيَّ هو يعمل الأعمال» (٥٣)، و«الإبن الوحيد الذي هو في حضن الآب» (٥٤)، و«ابن الإنسان (الذي على الأرض) الذي هو في السماء» (٥٥)!... وهو لم ينقسم على نفسه قط، **ولا انقسمت طبيعته قط ولا تكلم بلسانين، ولا أبدى مشيئتين،** ولا عمل عملاً نسخ به عملاً سابقاً قط؛ ولكن الحقيقة تكمن في أن المسيح عمل عملاً واسع الإختصاصات وأكمل بالصليب صوراً عديدة متضاعفة متعددة الآثار... وليس في ذلك أي ذنب على الله بل العيب في الإنسانية الشقية التي فتحت حصنها الإلهي (العقل) للشيطان ومكَّنته من احتلال أركانه فخرَّبه في أماكن عديدة... فجاء المسيح ليعمل و يُصلح و يُصالح ويجدد هذه الأركان!!

نعود إلى الصليب ...

(٥١) مت٢٦: ٣٩.
(٥٢) يو١٠: ٣٠.
(٥٣) يو١٤: ١٠.
(٥٤) يو١: ١٨.
(٥٥) يو٣: ١٣.

فنجد أن المسيح أكمل عليه ذبيحتين ليكمل عملين لازمين متلازمين:

الأول: تقديم بره الشخصي في طاعة محكمة ومشيئة كاملة مذعنة حتى الموت موت الصليب بسرور «قدم نفسه لله بلا عيب» [٥٦]، فقُبل مرضياً عنه كرائحة سرور= ذبيحة محرقة.

الثاني: تقديم نفسه حاملاً خطايا الإنسان ونجاساته «في جسده على الخشبة» [٥٧]، متألماً متمنّعاً (إذ لم يكن معقولاً أن يحمل الخطية في جسده بسرور؟؟)، وقَبِلَ بحزن عظيم أن يُصلب خارج أورشليم كحامل عار ولعنة الإنسان!! = ذبيحة خطية.

ولكن لا يظن أحد أن هناك تمايزاً بين الذبيحتين أو بين الموقفين اللذين وقفهما الإبن على الصليب، فالمجد الذي حصّله الإبن من الصليب كذبيحة محرقة لإظهار بره وطاعته لا يوازي المجد الذي صار له بسبب صَلْبه الخطية في جسده، وحمْلِه عار الإنسان على الخشبة، ورفْع لعنة الموت عن الإنسان!! لأن الأولى تتناسب مع كمالاته أما الثانية فعجيبة حقاً يصمت عنها اللسان و ينعقد التعبير ولا نعلّق عليها إلا بقول إشعياء النبي:

— «آثامهم هو يحملها **لذلك** أقسم له بين الأعزاء ومع العظماء يقسم غنيمة من أجل أنه سكب للموت نفسه وأُحصي مع أثمة، وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين.» [٥٨]

من أجل هذا أيضاً لا يفوتنا ما اغتنمه بولس الرسول بالروح بالإستعلان من

(٥٦) ١بط١: ١٩.
(٥٧) ١بط٢: ٢٤.
(٥٨) إش٥٣: ١١و١٢.

هذه الذبيحة في قوله: «إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضاً معه. إن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا» [٥٩]!!

والآن، أيها القارىء، بعد أن علمتَ بقوة ذبيحة الخطية التي أكملها المسيح عنك، ووضعتَ يدك على ذبيحة الصليب معترفاً بخطاياك، وعلمتَ أنه بسبب انتقال خطاياك منك إلى جسد المسيح على الخشبة، مات المسيح على الصليب؛ فهل لا يزال لك ضمير مثقل بالخطايا [٦٠]؟ احذر ذلك لئلا تهين قوة الذبيحة! بل احذر جداً أن تتقدم إلى الله وشركة دم المسيح مستكثراً خطاياك على عمل الدم الإلهي. [٦١]

شكراً للذي «أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين آمين.» [٦٢]

□

الوجه الثالث من أوجه الصليب: ذبيحة الإثم [٦٣]

هذا الوجه عجيب حقاً وقلّما تأملنا فيه، ولكن إهمالنا المتراكم لم يلغ بعد عمل هذه الذبيحة ولا أضاع حقنا فيها.

ذبيحة الإثم، كما سنعرض لها فيما بعد، تتلخص في خطية الإنسان تجاه أقداس الله أو خيانة بيته أو إهانة اسمه العظيم القدوس أو إفساد وتنجيس نذر ينذره

(٥٩) رو٨: ١٧و١٨.
(٦٠) عب١٠: ٢.
(٦١) ١يو٢: ٢.
(٦٢) رؤ١: ٥و٦.
(٦٣) لا٥: ١٤.

الإنسان لله. هذه الخطية خطيرة ولا يمكن أن نضعها في مستوى خطية الإنسان تجاه الإنسان، لذلك حرص الطقس أن يفرزها وحدها و يلقي عليها ضوءاً خاصاً لتظهر شناعتها المضاعفة؛ فجعل لها ذبيحة خاصة هي ذبيحة الإثم.

ولكن حِرْصَ الطقس على كشفها وافتضاحها لم يكن إلا نتيجة حتمية لخطورة هذه الخطية في إفساد العلاقات بين الله والإنسان؛ وحتى إن كان الطقس قد أفرد لها شريعة معينة وذبيحة خاصة فما ذلك إلا لأنها ستدخل حتماً ضمن حدود عمل الصليب. لذلك لا يفوتنا هذا الأمر ــ لنطمئنَّ في أنفسنا وتستريحَ ضمائرنا ــ أن نكتشف هذا الحق الجديد في ذبيحة المسيح على الصليب، عالمين أنه أكمل عنا ذبيحة إثم[٦٤]، فلم يعد يُحسب علينا خطية ما ضد أقداس الله[٦٥] أو اسمه العظيم[٦٦] أو كل ما يدنس أو يفسد نذرنا أمامه[٦٧] **طالما تمسكنا بثقة[٦٨] هذا الرجاء في دم المسيح** كذبيحة إثم خاصة لنا!! ولم يَفُتْ الوحي أن يذكِّر إشعياء النبي ليحدثنا بصوت النبوة عن شكل هذه الذبيحة الخصوصية التي سيكملها «البار» من أجلنا، فقال: «أما الرب **فسُرَّ** أن يسحقه بالحزن، إن جعل نفسه ذبيحة إثم.»[٦٩]

أيها القارىء إفرح وسُرَّ مع الآب، لأنه إن كان الله سُرَّ بذبيحة المسيح عن إثمنا فكيف لا نُسر نحن بذلك، لا تخف ليس لنا من الآن «ضمير خطايا»[٧٠]

(٦٤) إش٥٣: ١٠.
(٦٥) لا٥: ١٤.
(٦٦) لا٦: ٥.
(٦٧) عدد٦: ١٢.
(٦٨) عب٣: ٦.
(٦٩) إش٥٣: ١٠.
(٧٠) عب١٠: ٢.

لأن المسيح برُّنا[٧١]؛ وإن كنتَ أخطأتَ في شيء تجاه بيت الرب أو اسمه أو تدنس نذرك لسبب ما، فقم ياأخي، قم ياحبيبي، قم ياشريكي في ذبيحة إثمنا، قم قبِّل الصليب الذي وفَّى دَيْني ودَيْنك، وخذ مكانك وسط صفوف المخلَّصين: «ومفديّو الرب يرجعون و يأتون إلى صهيون بالترنم وعلى رؤوسهم فرح أبدي ابتهاج وفرح يدركانهم. يهرب الحزن والتنهد أنا أنا هو معزيكم.»[٧٢]

□

الوجه الرابع من أوجه الصليب: تقدمة القربان[٧٣]

هذا الوجه من أوجه الصليب نجده واضحاً في آلامه الناسوتية أي الآلام الطبيعية التي عاناها بالجسد، إشارة وتوضيحاً إلى حقيقة سر تجسده. لأن الآلام الجسدية التي تألم بها المسيح جهاراً تثبت قطعاً أنه أخذ جسداً حقيقياً؛ فالذي تعب في الطريق[٧٤]، والذي جاع[٧٥]، والذي بكى[٧٦]، والذي قال: «نفسي حزينة جداً حتى الموت»[٧٧]، لابد أن يكون ذا جسد إنساني حساس.

والآن نرى هذا الوجه واضحاً كل الوضوح في تقدمة «القربان» بدقيق القمح الذي يشير إلى جسد المسيح؛ ولكن لم يكتفِ الطقس بذكر دقيق ساذج بل أفاض في الوصف إفاضة حتى أحكم المعنى المقصود ودقق في المثال حتى انطبق الرمز على المرموز إليه تمام الطباق!! فجعل الدقيق **ملتوتاً** أولاً بالزيت، ثم **مسكوباً** عليه

(٧١) رو٣: ٢١ــ٢٦.
(٧٢) إش٥١: ١١و١٢.
(٧٣) لا٢: ١.
(٧٤) يو٤: ٦.
(٧٥) مر١١: ١٢.
(٧٦) يو١١: ٣٥.
(٧٧) مر١٤: ٣٤.

الـزيـت حتى ليحار عقل القارىء من هذه الأوصاف، ولكن تنتهي الحيرة في لحظة حينما نـرى الـطقس يستخدم الزيت للتعبير عن الروح القدس[٧٨]، ويجعل الدقيق الملتوت بـالـزيـت إشارة إلى أنه قد «حُبل به بالروح القدس»[٧٩]، ثم يستخدم سكب الـزيـت إشـارة إلى مـسح المسيح بالروح القدس عندما «حل عليه الروح القدس»[٨٠] في العماد.

وهـكـذا يـنجح الطقس في التعبير عن الحقائق الإلهية بالمثال!! ولكن لا يسعنا أمـام دقـة تـعبير الـطـقـس إلا أن نخر ساجدين أمام الله الحي، فيالها من سيمفونية إلهية!!

ونـعـود إلى أقـراص الـدقـيـق الملتوت بالزيت، والمسكوب عليه الزيت، فنرى إضافة أخرى جديدة لا تقل روعة وإحكاماً عن سابقتها، إذ نجد الطقس يضيف إلى الأقـراص «لـبـانـاً» أي بخوراً، استعداداً لوضعه **على النار**. أما البخور فمعروف أنه يـشير إلى الـصلاة والخدمة والـعـمـل والجـهـاد[٨١]، وأمـا الـنـار فـهـي الإختبار والآلام[٨٢]. وهـكـذا حينما توضع الأقراص في النار على المذبح تكون قد وفَّت جميع حـدود عـمـل المـسيـح الـذي أكـمله بكمال ناسوته الإلهي، فخرجت رائحة أعماله وجهاده وصلاته بخوراً أمام الله الآب في السماء.

ــ «و يـأتي بهـا إلى بني هـارون الـكـهـنة و يقبض منها ملء قبضته من دقيقها وزيتها مع كـل لـبـانها و يـوقـد الـكـاهـن تـذكارها على المذبح وقود رائحة سرور للرب».[٨٣]

---

(٧٨) ١ صم١٦:١٣.
(٧٩) مت١:٢٠.
(٨٠) يو١:٣٢—٣٤.
(٨١) رؤ٨:٣و٤.
(٨٢) ١ كو٤:١٣.
(٨٣) لا ٢:٢.

ثم يـعـود الـطـقـس فـيـضـيـف إضافة أخرى تُحكم المعنى إحكاماً، وتجعل هذه الأقـراص الـعـجـيـبـة ذات أسـرار رهيبة، إذ يأمر الطقس **بضرورة** وضع ملح عليها «وكـل قـربـان من تقادِمِك بالملح تملِّحه، ولا تخلُ تقدمتك من ملح عهد إلهك على جميع قرابينك تقرب ملحاً»[٨٤]، إشارة إلهية عن عدم فساد ذلك الناسوت.

إلى هـذا الحـد يـكـون الطقس قد عرض شرحاً مجرداً لحقائق التجسد ولا نجد في ذلك أمـراً يهمنا كثيراً، ولكن يهدف الطقس دائماً إلى توضيح قيمة الحقائق عملياً، ويحـضـنـا حـضـاً على الـتـعـرف على حقـوقنا في ذبيحة المسيح؛ لذلك يعود الطقس و يقول:

ــ «والباقي منها (أي بعد تقديم جزء منها على المذبح وقوداً) يأكله هرون و بنوه فطيراً يؤكل في مكان مقدس في دار خيمة الإجتماع يأكلونه.»[٨٥]

هذا هو لُباب الطقس في تقدمة القربان؛ إذ يُعطِي للكهنة إمتيازاً خاصاً منفرداً دون الـشـعـب في الأكـل مـن تقدمة القربان، إشارة إلى جسامة الخدمة ومسئولياتها الخـطـيـرة المـلـقاة على كاهل الكهنة وما تتطلبه من معونة خاصة لهم دون المخدومين منهم. وقد أوضح الطقس ما هو القربان في جوهره بالنسبة لذبيحة المسيح، إذ جعله رمـزاً وتوضيحاً لكمالاته الناسوتية، وخدمته، وعمله، وتعليمه، وجهاده، وصلاته، ورعايته، وعدم فساده.

إذن فـإعـطـاء الطقس حق الأكل للكهنة من هذه التقدمة غير الدموية، وإعطاؤه لهـم وحـدهـم؛ إشارة إلى حقهم ونصيبهم الخصوصي في نوال إمكانيات ممتازة فائقة عـن المـسـتـوى الـطـبـيـعي الذي لباقي الشعب، ليخدموا بها، ويجاهدوا، و يعملوا،

---

(٨٤) لا ٢:١٣.
(٨٥) لا ٦:١٦.

و يعلّموا، و يصلّوا، و يرعوا كما المسيح أيضاً.

ولكننا نريد أن ننبه ذهن القارىء إلى أن هذه التقدمة (أي تقدمة القربان) لا تشير إلى الذبيحة التي نقدمها الآن من خبز وخمر على المذبح التي هي للجميع، ولكنها تشير فقط إلى ما أكمله المسيح منذ أن مُسح بالروح للخدمة في المعمودية إلى ما قبل الصليب مباشرة، فإن كانت كل الذبائح تشير إلى عمل المسيح على الصليب، فتقدمة القربان تختص وحدها بالإشارة إلى حياة المسيح وخدمته قبل الصليب.

لذلك حرصت كنيستنا الرشيدة المؤيدة بالروح القدس على تقديم الذبيحة الإلهية من خبز مختمر لا كفطير(*)، لأن الفطير يشير إلى حياة المسيح قبل الصليب فقط وإلى أعماله التي كانت خالية من الخمير الذي هو رمز الشر. أما وقد حمل خطايانا في جسده على الصليب وقدم ذاته ذبيحة خطية عنا؛ لذلك لزم جداً أن يضاف الخمير في الخبز المقدَّم في القداس إشارة إلى الخطية التي حملها في جسده، لأن ذبيحة القداس الإلهي تشمل الصليب وما قبل الصليب؛ ولكن الكنيسة لم تكتف بوضع الخمير فقط؛ بل لزم أن يدخل النار حتى تموت هذه الخميرة ثانياً كما ماتت الخطية في جسد المسيح المقام من الأموات. فالخميرة موجودة في قربان القداس ولكنها ميتة بفعل النار؛ وكما أبطلت النار فعل الخميرة، كذلك «أبطل المسيح الخطية بذبيحة نفسه.»(٨٦)

* * *

(٨٦) عب ٩: ٢٦.

(*) راجع لاويين ٧: ١٣.

نعود إلى نصيب الكهنة في تقدمة «القربان» في الطقس القديم لنرد على القائلين بأن المسيح كرئيس كهنة ألغى كل رتب الكهنوت، فنقول: إنْ كان هذا الأمر صحيحاً فكيف يأمر الطقس أن يأكل الكاهن من أقراص الفطير الملتوت بالزيت والمسكوب عليه الزيت الذي فيه البخور والملح الذي يُكنى به عن المسيح ذاته؟ فهل الكاهن الذي يرمز إلى المسيح يأكل الفطير الذي يرمز إلى المسيح؟ هل المسيح يأكل ذاته؟ إذن لم يلغ المسيح طقس الكهنوت. لا يسح ياإخوتى أن تقولوا هذا الأمر؛ فالكهنوت حامل هبات خصوصية لرسالة هامة للشعب.

إذن، فتقدمة القربان قد اختصت بتوضيح حياة ذبيحة المسيح السابقة للذبح ووهبت قوة هذه الحياة بصفة خاصة للذين أرسلهم المسيح ليخدموا و يبشروا و يتلمذوا العالم أجمع!! وتقدمة القربان تدخل ضمناً و بالضرورة في ذبيحة المسيح العامة على الصليب؛ لأنه قدم على الصليب حياته السابقة بكل نواحيها. لذلك فالكاهن يحصل على نصيبه (الذي نص عليه الطقس القديم) في ذبيحة القداس ضمناً بأكله من الذبيحة الإلهية.

فالذين تحملوا مسئولية بنوع خصوصي أكثر من الشعب، أليس المنطق يجيز لهم قوة خاصة أيضاً تتناسب مع هذه المسئولية الخاصة؟

ولكن ماذا نعمل لكهنة لا يشعرون بتحمل مسئولية خصوصية في أخطاء الرعية؟ إنهم بالضرورة محرومون من هذه القوة الخاصة للخدمة والرعاية وكأنهم لا يكهنون. كذلك ليس من الجائز أن يكهن الكاهن أو يُقبل على هذه الخدمة إن لم يُزوَّد بهذه القوة **أولاً**.

□

الوجه الخامس من أوجه الصليب: = ذبيحة السلامة[٨٧]

لم نسمع في ذبيحة المحرقة أية كلمة عن شركة الناس في الذبيحة لأننا وجدناها تُحرق بكاملها على المذبح؛ ولا وجدنا في ذبيحة الخطية ولا ذبيحة الإثم أن الشعب يأكل منها؛ بل ولا في تقدمة القربان كان يُسمح لأحد أن يأكل منها إلا الكهنة فقط، لأنها كانت قدس أقداس.

ولكننا نرى هنا في طقس ذبيحة السلامة ما أغفله الطقس في الذبائح الأربع السالفة؛ إذ نجد أن للشعب نصيباً مع الكهنة في أكل هذه الذبيحة، وهذا هو الوجه الخامس من أوجه الصليب. و بالرغم من أنها ذبيحة وفيها سفك دم إلا أنها سُميت بذبيحة السلامة توضيحاً لما قد صار لنا بسبب سفك دم المسيح كهبة جديدة: وهي السلام.

فإن كانت ذبيحة المحرقة تشير إلى البر الموهوب لنا في دم المسيح، وإن كانت ذبيحة الخطية وذبيحة الإثم تشيران إلى رفع الخطية عنا؛ فقد نصت ذبيحة السلامة على أمر جديد تكشفه أمام عيوننا كحق ثابت لنا في الدم، وهو حق الشركة في طبيعة المسيح لنوال السلام الأبدي «ولحم ذبيحة شكر سلامته يؤكل يوم قربانه ــ اللحم يأكل كل طاهر منه.»[٨٨]

إذن، فقد كشفت ذبيحة السلامة منذ البدء عن حق الإنسان العجيب في الحصول على شركة مع الله للسلام. وهي ليست شركة معنوية أو فكرية ولكنها شركة حقيقية، شركة أكل. وكما أكل الإنسان من ذبيحة سلامته، هكذا يأكل

(٨٧) لا ٧: ١١.

(٨٨) لا ٧: ١٥و١٩.

الإنسان جسد المسيح ودمه!! ولكن الطقس يشترط شرطاً واحداً هاماً حتى يصير لمقدِّم ذبيحة السلامة الحق الكامل في الأكل من هذه الذبيحة وهو شرط الطهارة: «واللحم يأكل كل طاهر منه **وأما النفس التي تأكل لحماً من ذبيحة السلامة التي للرب ونجاستها عليها تُقطع تلك النفس من شعبها.**»[٨٩]

إذن، فهناك خطورة في هذه الشركة. فبالرغم من أنها مباحة للجميع بلا استثناء، الكاهن كالفرد العادي تماماً؛ إلا أن الذي يجترىء على هذه الشركة وهو غير طاهر فإنه يتسبب في نوال لعنة بدل البركة.

وهكذا انكشف لنا السر عينه الذي كان يتكلم عنه بولس الرسول و يُخرج لنا منه جدداً وعتقاءَ. أليس هذا هو نص العبارة في ألفاظها ومعانيها كما وردت في الطقس القديم؟ هكذا ينقلها لنا بولس الرسول: «إذن أيُّ من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب **بدون استحقاق يكون مجرماً في جسد الرب ودمه** لأن الذي يأكل و يشرب بدون استحقاق يأكل و يشرب دينونة لنفسه، غير مميز جسد الرب.»[٩٠]

ونعود إلى الطقس القديم **لنفهم معنى «بدون استحقاق»** التي قالها بولس الرسول إذ نراها في القديم **«ونجاستها عليها»**.

نجد الطقس لا يقول: «نجاستها **فيها**» **بل «عليها»**. إذن، فهو لا يشير إلى الخطية أو النجاسة ذاتها بل إلى أثرها في الإنسان، أي الناتج من عملها. وهناك فرق كبير بين أن أقول: «لا يجب أن يكون **فيَّ** خطية»، و بين قولي: «لا ينبغي أن يكون **عليَّ** خطية». إذ في القول الأول استحالة حسب قول يوحنا الرسول:

(٨٩) لا ٧: ١٩و٢٠.

(٩٠) ١كو ١١: ٢٧و٢٩.

«إن قلنا إنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا»[٩١]. أي أن الخطية كائنة فينا لا محالة حسب شهادة بولس الرسول: «لكني أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني و يسبيني إلى **ناموس الخطية الكائن في أعضائي**»[٩٢]. غير أن كون الخطية فيَّ ليس معناه أن أعيش عبداً لها؛ ولا لأنها كائنة في أعضائي أرضى بذلك وأعيش حسب شهوات أعضائي. لا لا، بل أحاربها. أحارب الخطية التي فيَّ، وأحارب أعضائي التي تشتهي الخطية. لأنه قد صار لي بالمسيح يسوع ناموس آخر يعمل ضد الخطية «لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت.»[٩٣].

إذن، فبالرغم من سُكنى الخطية في أعضائي إلا أني لا أطيعها ولا أعمل هواها بل أحاربها. أحاربها بروح المسيح الذي فيَّ. هذا كفيل أن يجعل ضميري شاهداً لي أني لا أعيش للخطية بل أموت عنها وأُميت أعضائي عنها، وشهادة ضميري هذه تجعلني **ليس عليَّ خطية** بالرغم من أنها كائنة في أعضائي.

هذه الشهادة التي أحسها في ضميري، استمدها على الدوام من مصدرين هامين:

الأول: ذبيحة الخطية التي قدمها المسيح عني على الصليب، والتي بها انتقلت خطاياي عني ونلت بواسطتها الصفح والمصالحة مع الله من جهة الضمير.

الثاني: جهادي ضد الخطية و بغضتها ومحاربة لذَّاتها وشهواتها العاملة في أعضائي؛ كما يقول بولس الرسول «كل من يجاهد يضبط نفسه في كل شيء»[٩٤]،

(٩١) ١يو ١:٨.
(٩٢) رو ٧:٢٣.
(٩٣) رو ٨:٢.
(٩٤) ١كو ٩:٢٥.

«أقمع جسدي وأستعبده»[٩٥]، «وأميتوا أعضاءكم التي على الأرض (التي هي) الزنا...»[٩٦]

و بذلك يصبح ضميري بلا خطية، أو كما يقول بولس الرسول: «لا يكون لهم أيضاً ضمير خطايا»[٩٧]. هذا ما يعنيه الطقس بقوله: **«عليه نجاسته»**، وهو عينه الذي يقصده بولس الرسول من قوله: **«بدون استحقاق.»**

وقد أحكم الطقس التعبير بدقة فائقة للوصف في قوله: «النفس التي تأكل لحماً من ذبيحة السلامة **التي للرب ونجاستها عليها** تُقطع.»

وأنا مندهش حقاً من هذا الترتيب العجيب؛ لأنه هو هو بعينه الذي صار بالروح القدس في الكنيسة الآن.

فالذي يتقدم إلى ذبيحة السلامة وعليه نجاسته معناه: أنه أغفل تقديم ذبيحة الخطية، لأن ذبيحة الخطية ترفع الخطية عن ضمير الإنسان؛ فيُصفح عنه وحينئذ يؤهَّل لأكل ذبيحة السلامة **التي للرب**. إذن، فذبيحة السلامة لابد أن يسبقها ذبيحة الخطية.

* * *

أليس هذا ما حددته الكنيسة الآن بضرورة الإعتراف بالخطايا قبل التناول من الجسد والدم، أي بالإنتفاع من عمل ذبيحة المسيح التي عن الخطية، قبل الإنتفاع بشركة طبيعة المسيح التي للسلام؟

(٩٥) ١كو ٩:٢٧.
(٩٦) كو ٣:٥.
(٩٧) عب ١٠:٢.

أما الذين يجترئون على التناول والشركة في جسد المسيح ودمه، دون أن يعترفوا بخطاياهم لتُغفر لهم «إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم»(٩٨)؛ فهؤلاء يشتركون في الذبيحة التي للرب ونجاساتهم عليهم، أي لم ينالوا عمل دم ذبيحة الخطية الذي ينقل خطاياهم عنهم، هؤلاء يحكم الطقس قديماً «بقطعهم»، ويحكم بولس الرسول حديثاً «بدينونتهم»(٩٩) منذراً: «من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون.»(١٠٠)

***

وهكذا تكشف ذبيحة السلامة عن حق جديد في دم المسيح، وعمل هام قد أكمله على الصليب: حق الشركة في جسد الرب ودمه وعمل السلام في الضمير.

* * *

كلمة في ختام التأمل الأول في تعدد الذبائح:

يمكننا الآن أن نتعرف على مفردات عمل الصليب، ونحيط باختصاصات الدم الإلهي الذي سُفك عليه. بل يمكننا على نوع أفضل أن نسعى لنوال حقوقنا وخلاصنا كاملِّين على ضوء ما أكمله المسيح. و يكفي أن ننظر إلى هذه الذبائح العديدة وعملها واختصاصاتها جميعاً فنراها كُلاً مكمَّلاً عند الصليب.

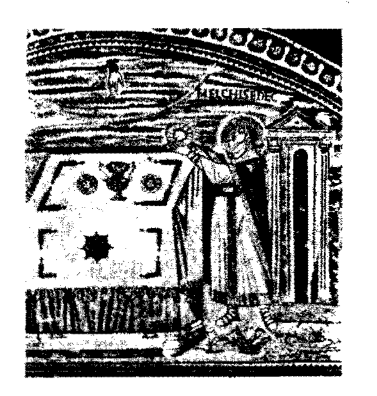
وليعلم القارىء أنه عندما يتقدم إلى سر التناول ليشترك في جسد الرب ودمه ينال ثمرة هذه الذبائح جميعاً إنما في دم المسيح الأزلي.

---

(٩٨) ١يو١:٩.
(٩٩) ١كو١١:٢٩.
(١٠٠) ١كو١١:٣٠.

أما موسى عبد الرب فلم يخطىء الرؤيا قط لما نظر من على الجبل شبه السماويات؛ إذ أحسن في التشبيه. وأبدع في المثال الذي وضعه بإحكام. وها نحن نرى بعيوننا الآن كيف أن الحق ينطبق على هذا المثال تمام الإنطباق، حقاً نؤمن ونعترف أن هذه هي شبه السماويات وظلها تماماً، وأن هذا الرمز لهذا المرموز، بغير اختلال، ليس فيه نقص ولا زيادة ولا حرف واحد ولا نقطة واحدة، **كقول** الرب(١٠١)، وسيبقى الرمز شاهداً للمرموز إليه إلى أبد الآبدين.

وأما الكنيسة المجيدة المرتشدة والمؤيَّدة بروح الله القدوس؛ فقد استوعبت الحقائق كقياس ظلالها، وأخذت المرموز إليه (أي حق المسيح) في كل حدود الرمز، لم تترك شاردة ولا واردة إلا وأخضعتها للحق في أسرارها.



---

(١٠١) مت ٥:١٧و١٨.

أما الذين يجترئون على التناول والشركة في جسد المسيح ودمه، دون أن يعترفوا بخطاياهم لتُغفر لهم «إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم»(٩٨)؛ فهؤلاء يشتركون في الذبيحة التي للرب ونجاساتهم عليهم، أي لم ينالوا عمل دم ذبيحة الخطية الذي ينقل خطاياهم عنهم، هؤلاء يحكم الطقس قديماً «بقطعهم»، ويحكم بولس الرسول حديثاً «بدينونتهم»(٩٩) منذراً: «من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون.»(١٠٠)

***

وهكذا تكشف ذبيحة السلامة عن حق جديد في دم المسيح، وعمل هام قد أكمله على الصليب: حق الشركة في جسد الرب ودمه وعمل السلام في الضمير.

* * *

كلمة في ختام التأمل الأول في تعدد الذبائح:

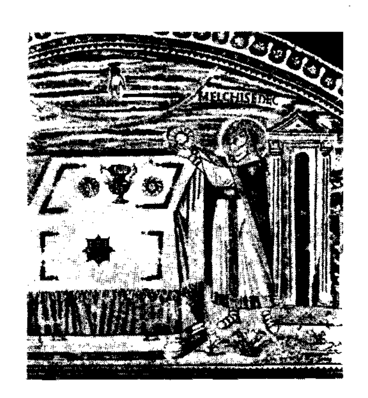
يمكننا الآن أن نتعرف على مفردات عمل الصليب، ونحيط باختصاصات الدم الإلهي الذي سُفك عليه. بل يمكننا على نوع أفضل أن نسعى لنوال حقوقنا وخلاصنا كاملين على ضوء ما أكمله المسيح. ويكفي أن ننظر إلى هذه الذبائح العديدة وعملها واختصاصاتها جميعاً فنراها كُلاً مكمَّلاً عند الصليب.

وليعلم القارىء أنه عندما يتقدم إلى سر التناول ليشترك في جسد الرب ودمه ينال ثمرة هذه الذبائح جميعاً إنما في دم المسيح الأزلي.

(٩٨) ١يو١: ٩.
(٩٩) ١كو١١: ٢٩.
(١٠٠) ١كو١١: ٣٠.

أما موسى عبد الرب فلم يخطىء الرؤيا قط لما نظر من على الجبل شبه السماويات؛ إذ أحسن في التشبيه. وأبدع في المثال الذي وضعه بإحكام. وها نحن نرى بعيوننا الآن كيف أن الحق ينطبق على هذا المثال تمام الإنطباق، حقاً نؤمن ونعترف أن هذه هي شبه السماويات وظلها تماماً، وأن هذا الرمز لهذا المرموز، بغير اختلال، ليس فيه نقص ولا زيادة ولا حرف واحد ولا نقطة واحدة، **كقول الرب**(١٠١)، وسيبقى الرمز شاهداً للمرموز إليه إلى أبد الآبدين.

وأما الكنيسة المجيدة المرتشدة والمؤيَّدة بروح الله القدوس؛ فقد استوعبت الحقائق كقياس ظلالها، وأخذت المرموز إليه (أي حق المسيح) في كل حدود الرمز، لم تترك شاردة ولا واردة إلا وأخضعتها للحق في أسرارها.



(١٠١) مت ٥: ١٧و١٨.

التأمل الثاني في سبب تعدد أنواع الذبائح

خرجنا من تأملنا الأول بمعرفة الحدود المتسعة لعمل ذبيحة المسيح، واكتساب حقوق جديدة في دم المسيح كشف لنا عنها تنوع الذبائح في العهد القديم.

أما تأملنا الثاني هذا فنركزه في ذبيحتين: ذبيحة الخطية، وذبيحة الإثم لنخرج بغنيمة جديدة من غنائم الروح القدس.

□

أولاً: ذبيحة الخطية:

نجد في طقس هذه الذبيحة وحدها خمس حالات يرتبها الطقس حسب فئات الناس؛ وكأنما أراد الطقس أن يقسم قيم الناس بالنسبة للخطية إلى خمسة أقسام واضحة. ولكنه بدلاً من أن يجعل هذا التقسيم في منطوق نظري أو كقانون مجرد، جعله يتمّم طقسياً حتى يرسخ في ذهن الإنسان و يُتوارث من جيل إلى جيل.

تقييم الناس بالنسبة للخطية:

إن اعتبار الناس (بالنسبة للخطية) ليس واحداً أمام الله.

القيمة الأولى:

(أ) خطية رئيس الكهنة: يقدّم عنها ثور بقر صحيح. [١٠٢]

(ب) خطية مجمع الشعب معاً: يقدّم عنها ثور بقر صحيح. [١٠٣]

(١٠٢) خر٢٩ (كله) ولا٤ (كله).

(١٠٣) لا ٤: ١٣.

(ج) خطية الكاهن الممسوح: يقدّم عنها ثور بقر صحيح. [١٠٤]

القيمة الثانية:

(د) خطية رئيس علماني في الشعب: يقدّم عنها تيس ماعز ذكر. [١٠٥]

القيمة الثالثة:

(هـ) خطية فرد من عامة الشعب: يقدّم عنها أنثى ماعز أو أنثى ضأن. [١٠٦]

وربما يتبادر إلى الذهن من هذا التقسيم أن الطقس يكرر الأوامر عبثاً في الفئات الثلاث الأولى، فكان يكفي أن يذكر أن هذه الفئات الثلاث أ، وب، وجـ لها طقس واحد وكفى؛ ولكن ليس هذا التكرار عبثاً، ولا كان التكرار عبثاً يوماً ما في كل الكتاب المقدس قديماً وحديثاً، فالروح يكرر لسبب، و يكرر بترتيب، ليكشف أسراره باختصار عجيب.

(أ) خطية رئيس الكهنة:

يريد الطقس أن يقول: إن خطية رئيس الكهنة ذات خطورة، لذلك وضعها قبل خطية مجمع الشعب. وهو وإن كان يتساوى مع مجمع الشعب في نوع ذبيحته التي يقدمها عن خطيته، إلا أنه قُدّم في الطقس كأول. وهذا وضع سليم لأنه إذا أخطأ الشعب فرئيس الكهنة يصلي عنه ولكن إن أخطأ رئيس الكهنة فمن يصلي من أجله؟ [١٠٧]

إذن فهو أول، لأن خطيته مباشرة بينه و بين الله؛ ولأن خطيته تُعثّر الشعب بأجمعه!!

(١٠٤) لا٤: ٣.

(١٠٥) لا٤: ٢٢.

(١٠٦) لا٤: ٢٨.

(١٠٧) ١صم٢: ٢٥؛ ١صم٣: ١٤ (هامة جداً).

(ب) خطية مجمع الشعب:

وقد قيَّمها الطقس في الدرجة الثانية بعد خطية رئيس الكهنة وهذا وضع سليم كما سبق وقلنا، لأنه إذا أخطأ الشعب فرئيس الكهنة يمكن أن يصلي من أجله[١٠٨]؛ أو بمعنى عملي يوجد فوق مجمع الشعب مسئول آخر يتكلم عنه، أما رئيس الكهنة فهو المسئول الأول.[١٠٩]

وهنا نرى نقطة عملية ذات أهمية: وهي أن الطقس لم ينظر إلى الكثرة العددية في نوع الذبيحة فآلاف الشعب مجتمعين إذا أخطأوا كانت ذبيحتهم ثور بقر كذبيحة رئيس الكهنة الفرد. والتساوي في نوع الذبيحة يكشف عن خطورة خطية مجمع الشعب أيضاً أمام الله مباشرة.[١١٠]

(ج) خطية الكاهن الممسوح:

وتأتي الثالثة في الترتيب؛ أي أن خطية مجمع الشعب أخطر من خطية كاهن واحد؛ وهذا مناسب أيضاً، لأن خطية كاهن تُعثّر مجموعة محدودة من الشعب، ولا تُعثّر الشعب كله كخطية رئيس الكهنة.

ولكن ثمة خطورة محدقة بالكاهن لأن خطيته تقدَّر في قيمتها من جهة الذبيحة بخطية مجمع شعب بأكمله.[١١١]

(د) خطية رئيس علماني:

وهذه يقيِّمها الطقس في الدرجة الرابعة و بعد خطية الكاهن مباشرة، لما للرئيس العلماني من أثر مباشر على الناس من جهة العثرة؛ ولكن ليس كالكاهن

---

(١٠٨) خر ٣٢ : ٣٢.

(١٠٩) ١صم ١٢ : ٢٣.

(١١٠) خر ٣٢ : ٣٥.

(١١١) خر ٣٢ : ٣٥، ١صم ٢ : ٢٤.

طبعاً. وهنا نجد أن نوع الذبيحة يتغير من ثور بقر إلى تيس ماعز، إشارة إلى هبوط مستوى خطورة الخطية من ناحية، ومن ناحية أخرى وهي الأهم، أن الرئيس العلماني ليس مسئولاً وحده عن خطيته بل يشترك فيها الكاهن المباشر عليه أو المسئول عنه، فخطيته لم تعد تواجه الله مباشرة.

(هـ) خطية فرد من عامة الشعب:

وهذه يقيِّمها الطقس في آخر أنواع الفئات لأنها محدودة في دائرة إنسان فرد، أي ليس لها تأثير مباشر على أحد من جهة، ومن جهة أخرى تتناسب مع المركز المتواضع الذي يحتله الفرد في وسط الشعب. غير أننا نجد أن الذبيحة نفسها قد تغيرت أيضاً، فبدل أن كانت تيس ماعز صارت أنثى ماعز، إشارة هامة إلى دخول مسئولية جديدة تقع على الرئيس العلماني المباشر (الأرخن). فكما يُسأل الرجل عن المرأة أو كما يهتم الذكر بالأنثى، هكذا يُسأل الرئيس العلماني عن الأفراد الذين يترأس عليهم!!

لذلك كانت ذبيحة الفرد أقل من ذبيحة رئيس علماني، وأقل من ذبيحة كاهن لأنهما مسئولان معه أمام الله.

هذا هو الطقس، يكاد ينطق بدستور أدبي كامل مُحكَم بمواده و بنوده وشروحه من جهة سلوك الإنسان أمام الله ومسئولية الإنسان تجاه الإنسان!!

الطقس يشرح المسئوليات تجاه خطايا الآخرين:

(أ) وجدنا في تقييم الفئات بالنسبة للخطية أن الذبيحة واحدة في حالة خطية كلٍّ من رئيس الكهنة ومجمع الشعب والكاهن الممسوح إشارة إلى تساويهم في المسئولية. أي أن كلاً منهم مسئول عن نفسه أمام الله.

ولكننا نجد الطقس لا يكتفي بذلك لئلا نفوت المعنى؛ فيشدد على أن ذبيحة

رئيس الكهنة وذبيحة مجمع الشعب، وذبيحة الكاهن الممسوح؛ يُدخل بدمها إلى القدس داخل خيمة الإجتماع، و يغمس الكاهن أصبعه في الدم، و ينضح على الحجاب أمام الله. أما في ذبيحة خطية الرئيس العلماني وفي ذبيحة خطية الفرد العادي فلا يُدخل بدمها إلى القدس إطلاقاً!! إشارة واضحة إلى أن رئيس الكهنة ومجمع الشعب والكاهن الممسوح مسئولون عن خطاياهم مباشرة أمام الله؛ أما الرؤساء العلمانيون وأفراد الشعب، فالكهنة مسئولون ضمناً عن خطاياهم؛ لذلك لا يتجرأ الكاهن و يدخل بدم ذبائحهم أمام الله: فهو المسئول عن دمهم.

هذا الفكر أو هذا الشعور ليس اجتهاداً من عندنا ولكنه حقيقة حية في العهد الجديد للذي يستطيع أن يسمع و يقرأ ما قاله بولس الرسول مبرئاً نفسه من هذه المسئولية، إذ كان قد وفّى حقوقها: «أُشهدكم اليوم هذا أني بريء **من دم الجميع**، لأني لم أؤخر أن أخبركم بكل مشورة الله، احترزوا، إذاً، لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها **بدمه**». (١١٢)

(ب) ولكن الطقس لا يكتفي بذلك لئلا نفوت المعنى، لذلك نجده يوضح الأمر بصورة أخرى؛ فنجد الطقس يحذر من أن يؤكل من ذبيحة رئيس الكهنة أو ذبيحة مجمع الشعب أو ذبيحة الكاهن الممسوح، بل تُحرق كلها: دهنها على المذبح ولحمها خارج المحلة!!

أما ذبيحة الرئيس العلماني والفرد العادي **فيأكلها** الكاهن الذي يقدمها. «الكاهن الذي يعملها للخطية يأكلها.» (١١٣)

(١١٢) أع ٢٠: ٢٦-٢٨.

(١١٣) لا ٦: ٢٦.

(جـ) ولا يفوتنا أن نذكر أن خطايا الكاهن الشخصية لا يشترك معه أحد في تحمُّل مسئوليتها، حتى ولا رئيس الكهنة، فدم ذبيحة خطيته يدخل به بنفسه أمام الله ثم يحرق لحم ذبيحته بنفسه خارج المحلة. إذن، فلا يستطيع رئيس الكهنة ولا الكاهن أن يعتذر عن خطيته بأن يتهم شعبه أو رئيسه أو زملاءه كمتسببين فيها (أنظر كيف تحمل موسى وحده نتيجة خطيته لما فرط بشفتيه أمام الصخرة، مع أن الشعب هو الذي تسبب في عثرته). (١١٤)

(د) وقد اهتم الوحي بذكر حادثة هامة يتضح منها أنه لا يجوز للكاهن أن يقدم ذبيحة خطية عن الشعب إلا بعد أن يكفر هو عن نفسه، و يقدم ذبيحة عن خطيته. والقصة تجدها في سفر اللاو يين الأصحاح العاشر نقتبس منها الآتي:

حدث لما تجرأ إبنا هارون الكاهنان وقدما ناراً غريبة في مجامرهما، أي ناراً لم يأخذاها من على المذبح حسب الطقس، «أن خرجت نار من عند الرب وأكلتهما فماتا». ولكن امتدت النار أيضاً وأكلت ذبيحة كانت مهيأة لتقديمها عن خطية أفراد الشعب، مع أن الطقس كان يوجب أكلها لا حرقها. فعاتب موسى ابني هرون الباقيين (غير اللذين ماتا) قائلاً: «ما بالكما لم تأكلا ذبيحة الخطية في المكان المقدس لأنها قدس أقداس. وقد أعطاكما إياها الله لتحملا إثم الجماعة». ثم ذكّرهم موسى بالسبب الطقسي لذلك قائلاً: «إنه لم يُؤتَ بدمها إلى القدس». وهذا يوضح مسئولية الكاهن واشتراكه في خطية الشعب... ولكن للقصة بقية هي التي تهمنا من حيث توضيح ضرورة إبراء الكاهن لذمته، واعترافه بخطاياه، وتوبته عنها، قبل أن يتجرأ على تقديم ذبيحة خطية عن أحد آخر. وهذا يتضح من رد هرون على موسى وقد كان مشتركاً في هذه الحادثة عندما أجاب على موسى قائلاً: «إنهما

(١١٤) عدد ٢٠: ١-١٣.

اليوم قرّبا **ذبيحة خطيتها** ومحرقتها أمام الرب وقد أصابني مثل هذه (أي أني كنت معهما) فلو أكلت ذبيحة الخطية (التي عن أفراد الشعب) اليوم (أي قبل أن أُبرىء ذمتي من خطيتي الشخصية) فهل كان يحسن في عيني الرب؟؟ فلما سمع موسى هذا حسن في عينيه»، أي أنه أقر هذا المبدأ الخطير.

إذن، فقد أبان الطقس قيمة تبرئة الكاهن لذمته وضميره باعترافه عن خطيته وتوبته قبل أن يتجرأ على حمل مسئولية خطايا الشعب.

وهكذا نرى في شريعة ذبيحة الخطية تقييماً دقيقاً لفئات الناس بالنسبة للخطية إزاء مسئولية بعضهم عن بعض ومسئولية خطاياهم أمام الله.

صحيح أن ذبيحة الخطية في العهد الجديد التي أكملها المسيح في جسده واحدة، وهي كفء في شخص المسيح أن تكون «كفَّارةً لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً» (١١٥)... «...فبعدما قدّم عن **الخطايا** ذبيحة **واحدة** جلس إلى الأبد عن يمين الله.» (١١٦)

حقاً، إنه وحّد الذبائح، ولكنه لم يوحّد الخطية، ولم يلغ تفاوت المسئوليات؛ فطالما توجد درجات في الوصية، وطالما توجد درجات في الهبات الروحية فلابد أن توجد درجات للمسئوليات تتناسب والهبات، ثم درجات للخطية تتناسب والمسئوليات.

إن ذبيحة الصليب ألغت كل ذبيحة أخرى لأنها أكملت مطاليبها، لذلك يلزم أن نعرف في هذه الذبيحة الواحدة أعمالها التي اضطلعت بها عوض كثرة الذبائح

(١١٥) ١يو ٢:٢.
(١١٦) عب ١٠:١٢.

الأولى، وإلا ضيعنا حقوقنا.

ثانياً: ذبيحة الإثم:

في ذبيحة الإثم نكتشف سبباً جديداً نافعاً لنفوسنا لتعدد أنواع الذبائح، إذ نجد أن هذه الذبيحة تبدأ بعمل جديد غير ذبيحة الخطية، لا من جهة تقييم الناس بالنسبة للخطية، ولكن من جهة تقييم الخطية بالنسبة لله.

تقييم الخطية:

رأينا في طقس ذبيحة الخطية أن اعتبار الناس (بالنسبة للخطية) ليس واحداً أمام الله.

وهنا في ذبيحة الإثم نجد العكس. أي أن اعتبار الخطية (بالنسبة للناس) ليس واحداً أمام الله. فوإن كانت شريعة الخطية وشريعة الإثم واحدة من جهة التصرف في دمها ولحمها وشحمها واشتراك الكاهن في أكلها «ذبيحة الإثم كذبيحة الخطية لهما شريعة واحدة، الكاهن الذي يكفِّر بها تكون له» (١١٧)، إلا أنه لو دققنا نجد أن ذبيحة الخطية تختص بالخطايا التي ضد الناس: «الكاهن الذي يخطىء لإثم الشعب» (١١٨) أو الذي يخطىء فيها ضد الوصية الخاصة بسلوكه الشخصي؛ أما ذبيحة الإثم فنجد أنها تختص بالخطايا التي ضد الله. وأنواعها كالآتي:

(أ) خطية ضد أقداس الله بخيانة (حتى ولو لم يعلم) «أخطأ سهواً في أقداس الرب» (١١٩)، فإنه يرد قيمة الخيانة زائداً خُمسها و يعمل ذبيحة الإثم كبشاً من الغنم صحيحاً.

(١١٧) لا ٧:٧.
(١١٨) لا ٤:٣.
(١١٩) لا ٥:١٥.

(ب) خطية ضد أقداس الله بدون خيانة و يقدّم عنها ذبيحة إثم كبشاً من الغنم صحيحاً فقط.

(جـ) خطية ضد الناس في مظهرها بأن يسلب الشخص شخصاً آخر في وديعة ما أو أمانة، أو يغتصب إنساناً آخر في شيء، ثم يزيد على ذلك بأن **يحلف كذباً** فتُحسب الخطية بجملتها ضد الله و يعمل عنها ذبيحة إثم لا ذبيحة خطية: «حلف كاذباً على شيء من كل ما يفعله الإنسان مخطئاً به.» (١٢٠)

حينئذ يرد الشخص جميع ما سلبه أو اغتصبه أو كل ما حلف عليه كاذباً: يعوض برأسه و يزيد على قيمته مقدار الخُمس: «و يأتي إلى الرب بذبيحة إثم كبشاً صحيحاً من الغنم.»

وهنا يعتبر الطقس أن الحلف الكاذب خطية موجهة ضد الله مباشرة.

في هذا الطقس الذي هو شريعة ذبيحة الإثم نجد أن الذبيحة واحدة لم تتغير فهي كبش صحيح من الغنم، على أي حال ولأي شخص كان ــ يقدمها كل من يخطىء سهواً أو عمداً، ضد أقداس الله، أو ضد آسم الله، أو بتنجيس النذر.

وبمقارنة ذبيحة الخطية مع ذبيحة الإثم نستطيع أن نقسِّم الخطية إلى قسمين كبيرين:

القسم الأول: خطايا سلوكية ضد الناس أو ضد الذات: ذبيحة الخطية.

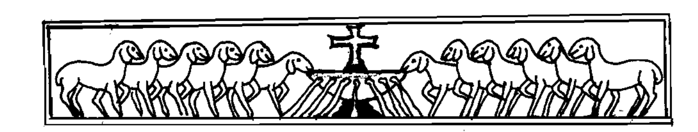
القسم الثاني: خطايا ضد الله: ذبيحة الإثم.

هكذا أراد الطقس أن يوضح الفرق بين هذين النوعين من الخطية. غير أننا نلحظ أن الله وإن كان يتسامح في ذبيحة الخطية حتى تصل إلى عنزة، وإلى زوجي

(١٢٠) لا ٦: ٣.

يمام أو فرخي حمام أو حتى إلى عُشر الإيفة من الدقيق الساذج: «في حالة التفريط بالشفتين دون قصد»، فإنه لا يتنازل قط عن كبش صحيح من الغنم إزاء أية خطية ضد الأقداس، أو ضد آسمه، حتى ولو كانت سهواً لأنها خطية عظيمة جداً. (١٢١)

وهكذا يهبنا الروح بواسطة تأملنا في ذبيحة الإثم معرفة جديدة من نحو الخطية لنفرق بين الخطايا العادية والخطايا التي ضد الله؛ حتى نقدم المخافة اللازمة نحو الله ومقادسه وآسمه العظيم القدوس، وحتى يكون لنا في ذبيحة الإثم التي قدمها المسيح عنا راحة في الضمير وسلام من جهة أخطائنا التي أخطأنا بها ضد الله و بيته وآسمه العظيم، وخصوصاً التي بدرت منا سهواً.



(١٢١) ١صم ٢: ٢٥.

التأمل الثالث: اكتشاف صلة «المعمودية» بـ«التناول» من ذبائح العهد القديم

قليل من يدرك صلة المعمودية بالتناول في ذبيحة المسيح، فهما ليسا سرين منفصلين؛ بل حقيقة واحدة ذات عملين، وذبيحة واحدة ذات فعلين.

فالمسيح حمل خطايانا على خشبة الصليب[١٢٢] فات!! هذا هو العمل الأول لحقيقة الصليب بالنسبة للإنسان، والفعل الأساسي لذبيحة المسيح من جهة الخطية؛ لأنه «أُسلم من أجل خطايانا»[١٢٣] أي مات للتكفير عن حياتنا المائتة بالخطية.

ثم إن المسيح قام من بين الأموات؛ لأنه إله لم يكن فيه خطية قط، ولا وُجد في فمه غش أو شيء يمكن أن يمسكه في الموت؛ لذلك قام، قام ببرِّه الشخصي. وهذا هو العمل الثاني لحقيقة الصليب، والفعل المكمِّل لذبيحة المسيح؛ لأنه «أُقيم لأجل تبريرنا»[١٢٤]. فهو مات بسببنا ولكنه قام بسبب برِّه الإلهي!!
هذان هما فعلا الذبيحة الإلهية: «أُسلم من أجل خطايانا؛ وأُقيم لأجل تبريرنا».

ونحن نشترك في **الفعل الأول للذبيحة** بالمعمودية؛ إذ أن المعمودية هي اشتراك **فعلي إيماني** في موت المسيح. فنحن نموت معه[١٢٥]، ونُدفن معه[١٢٦] حينما نعتمد له؛ فنموت عن حياة الخطية، وندفن الجسد العتيق مع الخطية.

---

(١٢٢) ١بط ٢:٢٤.
(١٢٣) رو ٤:٢٥.
(١٢٤) رو ٤:٢٥.
(١٢٥) رو ٦:٥.
(١٢٦) رو ٦:٤.

أما **الفعل الثاني للذبيحة**، أي القيامة من بين الأموات، القيامة بلا خطية لحياة البر، فنحصل عليه بالتناول حينما نأكل الجسد الحي والدم المحيي «من يأكلني فهو يحيا بي.»[١٢٧]
فذبيحة المسيح واحدة، ولكنها ذات عملين واضحين: الأول موت للخطية، والثاني قيام للبر.

ولا يمكننا أن نحصل على عملها الثاني إلا بعد أن نشترك في عملها الأول.
يلزم أن نموت لنحيا.
يلزم أن نموت عن الخطية لنحيا للبر.
يلزم أن نعتمد لنتناول!!

الذبائح التي لا يؤكل منها تشير إلى موت المسيح:

ولو تأملنا في الذبائح الأولى لوجدنا أن لهذين الفعلين أصولاً محددة واضحة كل الوضوح؛ إذ نجد ذبائح تذبح بعد أن يضع عليها الكاهن خطية المعترف، ثم تُحرق بكاملها دون أن يأكل منها أحد البتة، لا الكهنة ولا الشعب. هذه تمثل العمل الأول للذبيحة الإلهية؛ أي موت الصليب الذي أكمله المسيح بعد أن حمل خطايانا على الخشبة. ونحن نأخذ قوة هذا الموت ــ موت الخطية ــ لا بالأكل؛ إنما بالمعمودية. والمعمودية ليس فيها أكل أو شرب؛ وإنما اعترافُ بالخطايا، وإيمانٌ بمن مات؛ ودفن في الماء، تأكيداً للإيمان.

الذبائح التي تؤكل تشير إلى قيامة المسيح:

ثم نجد ذبائح تُذبح؛ و يأكل منها الكاهن والشعب وهي: السلامة التي

---

(١٢٧) يو ٦:٥٧.

التأمل الثالث: اكتشاف صلة «المعمودية» بـ«التناول» من ذبائح العهد القديم

قليل من يدرك صلة المعمودية بالتناول في ذبيحة المسيح، فهما ليسا سرين منفصلين؛ بل حقيقة واحدة ذات عملين، وذبيحة واحدة ذات فعلين.

فالمسيح حمل خطايانا على خشبة الصليب[١٢٢] فمات!! هذا هو العمل الأول لحقيقة الصليب بالنسبة للإنسان، والفعل الأساسي لذبيحة المسيح من جهة الخطية؛ لأنه «أُسلم من أجل خطايانا»[١٢٣] أي مات للتكفير عن حياتنا المائتة بالخطية.

ثم إن المسيح قام من بين الأموات؛ لأنه إله لم يكن فيه خطية قط، ولا وُجد في فمه غش أو شيء يمكن أن يمسكه في الموت؛ لذلك قام، قام ببرِّه الشخصي. وهذا هو العمل الثاني لحقيقة الصليب، والفعل المكمِّل لذبيحة المسيح؛ لأنه «أُقيم لأجل تبريرنا»[١٢٤]. فهو مات بسببنا ولكنه قام بسبب برِّه الإلهي!!

هذان هما فعلا الذبيحة الإلهية: «أُسلم من أجل خطايانا؛ وأُقيم لأجل تبريرنا».

ونحن نشترك في **الفعل الأول للذبيحة** بالمعمودية؛ إذ أن المعمودية هي اشتراك **فعلي إيماني** في موت المسيح. فنحن نموت معه[١٢٥]، ونُدفن معه[١٢٦] حينما نعتمد له؛ فنموت عن حياة الخطية، وندفن الجسد العتيق مع الخطية.

---

(١٢٢) ١بط ٢: ٢٤.
(١٢٣) رو ٤: ٢٥.
(١٢٤) رو ٤: ٢٥.
(١٢٥) رو ٦: ٥.
(١٢٦) رو ٦: ٤.

أما **الفعل الثاني للذبيحة**، أي القيامة من بين الأموات، القيامة بلا خطية لحياة البر، فنحصل عليه بالتناول حينما نأكل الجسد الحي والدم المحيي «من يأكلني فهو يحيا بي.»[١٢٧]

فذبيحة المسيح واحدة، ولكنها ذات عملين واضحين: الأول موت للخطية، والثاني قيام للبر.

ولا يمكننا أن نحصل على عملها الثاني إلا بعد أن نشترك في عملها الأول.

يلزم أن نموت لنحيا.

يلزم أن نموت عن الخطية لنحيا للبر.

يلزم أن نعتمد لنتناول!!

الذبائح التي لا يؤكل منها تشير إلى موت المسيح:

ولو تأملنا في الذبائح الأولى لوجدنا أن لهذين الفعلين أصولاً محددة واضحة كل الوضوح؛ إذ نجد ذبائح تذبح بعد أن يضع عليها الكاهن خطية المعترف، ثم تُحرق بكاملها دون أن يأكل منها أحد البتة، لا الكهنة ولا الشعب. هذه تمثل العمل الأول للذبيحة الإلهية؛ أي موت الصليب الذي أكمله المسيح بعد أن حمل خطايانا على الخشبة. ونحن نأخذ قوة هذا الموت ــ موت الخطية ــ لا بالأكل؛ إنما بالمعمودية. والمعمودية ليس فيها أكل أو شرب؛ وإنما اعترافٌ بالخطايا، وإيمانٌ بمن مات؛ ودفن في الماء، تأكيداً للإيمان.

الذبائح التي تؤكل تشير إلى قيامة المسيح:

ثم نجد ذبائح تُذبح؛ و يأكل منها الكاهن والشعب وهي: السلامة التي

---

(١٢٧) يو ٦: ٥٧.

للشكر، وليس فيها أي ذكر لخطية أو إثم، وإنما للفرح والمسرة. وهذه تشير إلى العمل الثاني لذبيحة المسيح وهو نوال الشركة في طبيعته، ونحن نأخذ قوة البر الذي في ذبيحة المسيح بالتناول، أي بالأكل، حيث نأكل جسداً حياً قائماً من بين الأموات، ودماً محيياً يستطيع أن يقيم من الأموات!!

حيلة بارعة يقدمها الطقس لإثبات قيامة المسيح:

وحينما نفحص علاقة الموت بالقيامة في الذبائح الأولى، نجد أصولها واضحة أيضاً؛ إذ نجد في بعض الذبائح أن ذبيحة الخطية التي للموت أحاطها الطقس بإشارة قوية إلى الحياة التي تلازمها حتى لا ينفصل الموت عن الحياة قط في مضمون الذبيحة!! فنجد أنه في يوم الكفارة العظيم الذي فيه يتم التكفير عن خطايا الكهنة جميعاً وكل جماعة الشعب وعن القدس وخيمة الإجتماع، يُقدّم تيسان لذبيحة الخطية: الأول يُذبح و يُحرق، أما الثاني فيُعترف عليه بالخطية و يُترك حياً:

ـ «و يضع هرون يديه على رأس التيس الحي و يُقرُّ عليه بكل ذنوب بني إسرائيل، وكل سيئاتهم مع كل خطاياهم، ويجعلها على رأس التيس (الحي)؛ و يرسله بيد من يلاقيه إلى البرية.» (١٢٨)

وفي ذلك تعبير عميق عن عمل ذبيحة المسيح القادمة، إذ يكاد الطقس ينطق بعملَي ذبيحة المسيح أي: الموت، والقيامة. فهو لا يكتفي بأن يقدم ذبيحة واحدة حيوانية فقط، لأنها ستموت ولا تقوم، لذلك ألزم بأن يرافقها تيس حي يظل حياً بعد أن يُحمَّل بالخطية عليه، حتى يفسر الموت والحياة في ذبيحة المسيح الإلهية. ولما أعوز الطقس أن تقوم الذبيحة الحيوانية من الأموات لتكمل واجبات الرمز، أردف

(١٢٨) لا ١٦:٢١.

معها ذبيحة تبقى حية حتى بعد أن تحمل على رأسها خطايا الناس... ياللسمفونية الإلهية!!

وهكذا ترسم الذبائح في خيمة البرّية الخطوط الأساسية لعمل المسيح الذي أكمله فعلاً بذبيحة نفسه «أبطل الخطية بذبيحة نفسه» (١٢٩)، ووهب البر للحياة الأبدية بدمه.

إن ذبيحة المسيح ذات مفردات كثيرة، وذات أسرار عميقة، يشير إليها الطقس باختصار، و يكرر، و يكرر أيضاً في إصرار؛ حتى نكلّ من السرعة في العبور عليها فينتبه ذهننا إلى القصد الذي تشير إليه لنفتش عن سر الحياة والخلاص الكائن فيها.

وربما يخيل للقارىء أننا نُجهد الطقس فوق ما يحتمل؛ ولكن الأمر على النقيض فنحن أجهدنا أنفسنا وما بلغنا إلا قليلاً من كثير؛ يذخره الطقس لكل باحث نشيط حتى يخرج من كنوزه جدداً وعتقاء.

□

ما أعمق سر خيمة الإجتماع، وأساسها الذي وُضع بإحكام ودقة ليحمل بناء الكنيسة الروحي بكل أسرارها، والخلاص الذي كمل فيها بالفداء، بل ويحمل برج فضائل النفس المتحدة بالرب يسوع المرتفع إلى ما وراء السماء.

ليس عبثاً أيضاً أن يتقابل رسول «الغُرْلة» بولس المرسَل للأمم، مع رسول الختان بطرس، و يعقوب و يوحنا، ليعرض عليهم مشروع بناء خلاص الأمم على الأساس الأول، فيُقبل باستحسان، و يُعطَى يمين الشركة.

■■■

(١٢٩) عب ٩:٢٦.

الفصل الثالث

هيكل في أورشليم

من حجارة منحوتة وأعمدة ذات أسماء

من خيمة إلى هيكل:

عبرت خيمة البرية نهر الأردن، ودخلت في مُلك الأمم. وقد وصف القديس إسطفانوس هذا الإنتقال في خطابه الوداعي باختصار، وإنما في ألفاظ إلهية:

ـــ «وأما خيمة الشهادة فكانت مع آبائنا في البرية، كما أمر الذي كلم موسى أن يعملها على المثال الذي كان قد رآه، التي أدخلها أيضاً آباؤنا إذ تخلفوا عليها مع يشوع في مُلك الأمم الذين طردهم الله من وجه آبائنا، إلى أيام داود الذي وجد نعمة أمام الله والتمس أن يجد مسكناً لإله يعقوب... ولكن سليمان بنى له بيتاً.»(١)

وهكذا ظلت الخيمة تنتقل في البرية، ولم تكن لها إقامة ثابتة، إشارة إلى طلب وطن أفضل ثابت لا يتغير؛ إلى أن بلغت مُلْك الأمم. ولكن ظلت تنتقل أيضاً في مُلْك الأمم إلى أن قام داود رجل الحروب، الذي أراد أن يبني لله بيتاً و يقرَّ للخيمة وطناً دائماً؛ ولكن بسبب الحروب لم يُسمح له بذلك؛ إشارة إلى أن الكنيسة ستظل متغربة بلا وطن طالما توجد حروب. إلى أن بنى سليمان البيت في أورشليم مدينة

(١) أع ٧: ٤٤ــ٤٧.

السلام، لأنه كان آبن سلام؛ إذ خضعت له الممالك من حوله، وخضع له أعداؤه، إشارة إلى المسيح رئيس السلام الذي سيأتي و يغلب أعداءه أي الخطية والموت والعالم؛ و بعد أن يغلبهم و يضعهم تحت رجليه، يهيىء للكنيسة وطناً سماو ياً أفضل، و يعدُّ منازل كثيرة في بيت الآب، في مدينة السلام الأبدي أورشليم السمائية.

أجزاء الهيكل ذات مدلولات روحية:

وقد وُهب سليمان إلهاماً روحياً وحكمة خاصة فائقة ليبني الهيكل؛ فكانت كل أعمال البناء والحجارة والأعمدة والنقوش والهندسة ذات مدلولات روحية.

١ ــ أعمدة:

فالأعمدة في الهيكل أخذت أسماء خاصة(٢)؛ إشارة إلى الرسل الذين سيُعتبرون أعمدة في الكنيسة الجديدة: «فإذ علم بالنعمة المعطاة لي، يعقوب وصفا و يوحنا، المعتبرون أنهم أعمدة، أعطوني و برنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم وأما هم فللختان.»(٣)

وفي سفر الرؤيا يذكر يوحنا ما قاله الرب: «من يغلب فسأجعله عموداً في هيكل إلهي، ولا يعود يخرج إلى خارج، وأكتب عليه آسم إلهي، وآسم مدينة إلهي أورشليم الجديدة النازلة من السماء من عند إلهي وآسمي الجديد.»(٤)

(٢) ٢أي ٣: ١٥و١٧. (٣) غل ٢: ٩.
(٤) رؤ ٣: ١٢.

٢ ــ تيجان:

واهتم «حيرام» الحكيم بأن يصنع لعمودي الهيكل تاجين عظيمين(٥)، إشارة إلى إكليل البر والخلاص العتيد أن يلبسه المجاهدون: «جاهدتُ الجهاد الحسن، أكملت السعي، حفظتُ الإيمان؛ وأخيراً قد وُضع لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل، وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً.»(٦)

ــ «ها أنا آتي سريعاً، تمسك بما عندك لئلا يأخذ أحد إكليلك.»(٧)

٣ ــ حجارة منحوتة:

والحجارة أيضاً كانت تُنحت بمواصفات خاصة، خارجاً، وتأخذ شكلها المناسب لموضعها في البناء وتُعطى علامة إن كانت للأساس، أو للسور، أو للأعمدة، أو للمذبح: «ولم يُسمع في البيت عند بنائه منحت ولا معول ولا أداة من حديد.»(٨)

وكل ذلك بحكمة ونبوة، إشارة إلى أنواع المؤمنين المعتبرين حجارة حية: «كونوا أنتم أيضاً مبنيين كحجارة حية بيتاً روحياً»(٩) الذين يُختارون ثم يُهذَّبون بكل أنواع التهذيب بالآلام والضيقات في العالم الحاضر؛ ثم يأخذون مِسْحتهم وآسمهم الجديد وآسم الله على جباههم: «لهم آسم أبيه مكتوباً على جباههم»(١٠)، «من يغلب فسأعطيه أن يأكل من المن المخفي وأعطيه حصاة بيضاء وعلى الحصاة آسم جديد مكتوب لا يعرفه أحد.»(١١)

---

(٥) ٢أي ٤:١٢.
(٦) ٢تي ٤:٧و٨.
(٧) رؤ ٣:١١.
(٨) ١مل ٦:٧.
(٩) ١بط ٢:٥.
(١٠) رؤ ١٤:١.
(١١) رؤ ٢:١٧.

فهنا زمان نحت الحجارة، حيث نُهذَّب بالآلام بحزن وصراخ ووجع، حتى إذا انطلقنا إلى السماء نأخذ مكاننا الخاص في هيكل السماء، في العرش، كلٌّ حسب موضعه إن كان في الأساس، أو في سور، أو في عمود أو في مذبح!! حيث لا يوجد تعديل ولا إصلاح، ولا يُسمع صوت بكاء ولا دموع ولا حزن ولا تنهد!! لأن آلات التأديب لا توجد في هيكل السماء!!

٤ ــ حجارة أساس:

هناك حجارة أساس «مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية»(١٢)، «حسب نعمة الله المعطاة لي كبنَّاء حكيم قد وضعت أساساً وآخر يبني عليه»(١٣)، «وسور المدينة كان له آثنا عشر أساساً وعليها أسماء رسل الخروف الإثني عشر.»(١٤)

٥ ــ حجارة أسوار، وأبواب:

وهناك حجارة أسوار من حجر كريم «هأنذا قد جعلتكَ اليوم مدينة حصينة وعمود حديد وأسوار نحاس على كل الأرض»(١٥). ويدعوها إشعياء بإسم جميل «تسمِّين أسواركِ خلاصاً وأبوابكِ تسبيحاً»(١٦). كالباب الذي يدعى الجميل(١٧) «وأبوابها لن تغلق نهاراً؛ لأن ليلاً لا يكون هناك»(١٨)، «وعلى الأبواب آثنا عشر ملاكاً وأسماء مكتوبة هي أسماء أسباط إسرائيل الإثني عشر»(١٩). فالباب الواحد الفريد هو الرب «أنا هو الباب»(٢٠)، أما الإثنا

---

(١٢) أف ٢:٢٠.
(١٣) ١كو ٣:١٠.
(١٤) رؤ ٢١:١٤.
(١٥) إر ١:١٨.
(١٦) إش ٦٠:١٨.
(١٧) أع ٣:٢.
(١٨) رؤ ٢١:٢٥.
(١٩) رؤ ٢١:١٢.
(٢٠) يو ١٠:٩.

عشر فهم الرسل الذين دخل بواسطتهم كل شعب الأرض!!

٦ ـ حجارة مذبح:

وهناك حجارة مذبح هم الشهداء الذين غلبوا بدم الخروف، وكلمة شهادتهم، ولم يحبوا حياتهم حتى الموت؛ فأُعطوا كرامة أن يكونوا حجارة في المذبح السمائي «رأيت تحت المذبح نفوس الذين قُتلوا من أجل كلمة الله ومن أجل الشهادة التي كانت عندهم.» (٢١)

٧ ـ صفائح من الذهب:

وغشى سليمان كل حجارة حوائط البيت من الداخل بالذهب الخالص المصفَّى بالنار، إشارة إلى الإيمان القلبي الذي سيربط جميع المؤمنين معاً في هيكل الله الواحد: «وغشَّى سليمان البيت من داخل بذهب خالص» (٢٢)، «وجميع البيت غشَّاه بذهب إلى تمام كل البيت» (٢٣)، «وغشَّى أرض البيت بذهب من داخل (المحراب) ومن خارج.» (٢٤)

٨ ـ الحجاب الفاصل:

وجعل سليمان حجاباً يفصل «قدس الأقداس» مسكن الله عن أروقة الشعب؛ لأن الخطية كانت لا تزال تفصل الإنسان عن الله. وجعل حاجزاً يفصل بين أروقة اليهود ورواق الأمم؛ رمزاً للعداوة التي كانت تحجز الإنسان عن الإنسان!

وظل هيكل أورشليم العظيم الذي بناه سليمان بن داود قائماً من جيل إلى جيل

---

(٢١) رؤ ٦:٩.
(٢٢) ١مل ٦:٢١.
(٢٣) ١مل ٦:٢٢.
(٢٤) ١مل ٦:٣٠.

ينتظر مَنْ يشق حجاب الخطية ليصالح الإنسان مع الله، ومَنْ يهدم الحاجز المتوسط بين اليهود والأمم ليرفع العداوة بين الإنسان وأخيه الإنسان!!

***

أنقضوا هذا الهيكل:

وفي ملء الزمان جاء المسيا. وفي ذات يوم أخذه تلاميذه وأروه أبنية الهيكل العظيم بافتخار وإجلال «فقال لهم أما تنظرون جميع هذه. الحق أقول لكم إنه لا يُترك ههنا حجر على حجر لا يُنقض.» (٢٥)

نعم آمين أيها الرب يسوع! جيد هو قولك لأنهم نقضوا ناموسك، نقضوا الشريعة، نقضوا العهد!

«أين كتاب طلاق أمكم» (٢٦):

نعود إلى حزقيال النبي لنسمع ما عملته عذراء صهيون التي لاقاها الرب مدوسة بدمها فأخذها وطهرها لنفسه:

ـ «أكلتِ السميذ، والعسل، والزيت، وجملتِ جداً جداً؛ فصلحتِ لمملكة، وخرج لك اسمٌ في الأمم لجمالك، **لأنه كان كاملاً ببهائي الذي جعلته عليكِ،** يقول السيد الرب، فاتكلتِ على جمالك وزنيتِ على اسمكِ وسكبتِ زناكِ على كل عابر... وفي كل رجاساتكِ وزناكِ لم تذكري أيام صباكِ؛ إذ كنت عريانة، وعارية. وكنتِ مدوسة بدمك. ويل ويل لك، يقول السيد الرب.» (٢٧)

---

(٢٥) مت ٢٤:١و٢.
(٢٦) إش ٥٠:١.
(٢٧) حز ١٦:١٣ـ٢٣.

كيف زنت بنت صهيون؟

كان الوحي يشير دائماً إلى شعب إسرائيل بـ« العذراء ابنة صهيون »[28]، مشيراً إلى طهارة عبادة الشعب وأمانته لإلهه.

ومعلوم أن من التصق بالرب صار معه روحاً واحداً[29]، كما يقول بولس الرسول؛ لذلك كل من خان الرب، وعبد آلهة أخرى، ومال بقلبه بعيداً عن الله، واشتهى الفساد وأطاع الشيطان؛ فإنه يُعتبر كمن صار لآخر وهو لا يزال تحت عهد الرب! تماماً كالمرأة التي تصير لصاحبٍ وهي ذات زوج مرتبطة معه بناموس!!

فإن كان الزنا الجسدي مكروهاً، لأنه يحمل معنى الخيانة خيانة العهد الزيجي؛ فكم وكم يُعتبر الزنا الروحي الذي هو خيانة عهد الله!

وهوذا بعد أن قبل الله شعب إسرائيل وجعل آسمه عليهم، وطهرهم وقدسهم وحل وسطهم، وحارب عنهم، وملَّكهم مُلْك الأمم بذراعه القوية، وتوَّجهم كمملكة ذات جمال وبهاء وسط الممالك، وكشف لهم حبه، « دخلت معك في عهد يقول السيد الرب فصرت لي »[30]، « ذكرت لك غيرة صباك، محبة خطبتك، ذهابك ورائي في البرية في أرض غير مزروعة... إسرائيل قدس للرب أوائل غلته »[31]؛ و بعد كل ذلك للأسف تركت بنت صهيون عريسها، وأباها وأليف صباها[32]... « هل تنسى عذراء زينتها أو عروس مناطقها؟ أما شعبي فنسيني أياماً بلا عدد. »[33]

(28) إش ٣٧: ٢٢.
(29) ١ كو ٦: ١٧.
(30) حز ١٦: ٨.
(31) إر ٢: ٣.
(32) إر ٣: ٤.
(33) إر ٢: ٣٢.

إرتد شعب إسرائيل عن الرب واستهوتهم قبائح العبادات الأخرى؛ إذ كانت تمتزج طقوس عبادتهم لآلهتهم بالزنى فعلاً!! ونصبوا لها مذابح وهياكل على المرتفعات وعبدوها هناك « لأنكِ على كل أكمة عالية وتحت كل شجرة خضراء أنتِ اضطجعتِ زانية »[34]، « الأبناء يلتقطون حطباً والآباء يوقدون النار والنساء يعجِنَّ العجين ليصنعن كعكاً لملكة السموات، ولسكب سكائب لآلهة أخرى لكي يغيظوني. »[35]

نعم خانوا الرب خيانة: « ولم يقولوا أين هو الرب الذي أصعدنا من أرض مصر الذي سار بنا في البرية. »[36]

لذلك يخاطبهم الرب بملء الأسى: « حقاً إنه كما تخون المرأة قرينها هكذا خُنتموني يابيت إسرائيل. »[37]

وقفة قصيرة:

وهنا نقف وقفة قصيرة لئلا يفوت علينا المعنى؛ فهذه العبادات الغريبة التي أسماها الرب بالزنا، وما أصعبه زنا؛ زنا الروح الذي ضربته عديمة الشفاء، لأن الجسد إذا تنجس يُطهَّر بالتوبة والدموع، ولكن خيانة الرب وابتعاد القلب عنه بماذا تُطهَّر؟ والجسد إذا زنا، أين تهرب الروح من الضمير؟ وإذا زنت الروح فلن تجد ضميراً يبكتها.

إن بنت إسرائيل لازالت تُخاطَب في شخص الكنيسة وفي شخصي وفي شخصك، والآلهة كثيرة ومذابحها تُقام في الخفاء والعلانية: فإله المال يُعبد باجتهاد

(34) إر ٢: ٢٠.
(35) إر ٧: ١٨.
(36) إر ٢: ٦.
(37) إر ٣: ٢٠.

كثير من كنائس كثيرة ونفوس أكثر، وتقام مذابحه في الأرصدة في البنوك علانية.
وإله الغيرة له في قلوب كثيرة مذابح مرتفعة تقدَّم عليها ذبائح نجسة لإغاظة الرب ويجيز في نارها الرحمة والوداعة والمحبة. كل الذين تركوا الرب وانغمسوا في عبادتهم المرذولة كما أجاز بنو إسرائيل أولادهم في النار ضحايا للآلهة الشياطين. كما أن هناك إله البغضة وإله الإنتقام، وإله الكبرياء والعجرفة، وإله الشهرة وإله الرئاسة وإله الحسد؛ وكلها آلهة معبودة من كثيرين.

إذن، فلننظر كل واحد إلى نفسه ونفتش مرتفعات قلوبنا باجتهاد لئلا توجد فيها مذابح نجسة، أو نار غريبة، أو ضحايا تصرخ من ظلمنا وجورنا ومحاباتنا، فنشترك مع **نصيب إسرائيل المر.**

طلاق الزانية:

لقد صرح موسى لشعب إسرائيل في الشريعة قديماً أن يطلّق الرجل امرأته، كل من وجد فيها عيباً، على أن يعطيها كتاب طلاق(٣٨). وقد علق السيد الرب على هذا التصريح بقوله إن موسى أعطاهم إياه ليس لأنه حق بل لأجل قساوة قلوبهم(٣٩)!

وكان هذا الطلاق الذي أُعطي **بتصريح عام** لأية علة يخفي حقيقة مخزية كانت في قلوب الشعب وهي وجود بذرة الخيانة، فلو لم يعطهم موسى هذا التصريح لصارت النتيجة أشر، إذن لزنا الرجال على زوجاتهم ولزنت الزوجات من وراء أزواجهن.

---

(٣٨) مت ٥: ٣١.

(٣٩) مت ١٩: ٨.

والذي يترك آمرأته لكل علة هو شهواني غير أمين للعهد، وسهل عليه أيضاً أن يترك الله، لأن الذي يفرق ما جمعه الله يهين الله.

لذلك كان تصريح موسى العام يشمل نبوة عن عدم ثبات قلوب الشعب تجاه الله، بل ويحمل صورة الطلاق العام الذي هو عتيد أن يكمله الرب مع بنت صهيون التاركة إلهها.

وهناك فرق بين طلاق موسى العام الذي لكل علة والطلاق الذي صرح به السيد المسيح لعلة الزنا؛ إذ أن هذا الأخير يشير إلى حالة فردية خاصة: كل من يضبط آمرأته في زنا(٤٠). فإن كان طلاق موسى نبوة عن طلاق إسرائيل وقطع كل الشعب؛ فالطلاق عند السيد المسيح إشارة إلى قطع العضو الفاسد فقط؛ أي الذي يخون عهد المسيح. لأن الكنيسة في العهد القديم اعتُبرت آمرأة لرجل، أما الكنيسة في العهد الجديد فهي معتَبرة أعضاءً في جسد!!

النطق بالحكم:

بعد أن أطال الله أناته جداً على إسرائيل «هل رأيت ما فعلت العاصية إسرائيل. انطلقت إلى كل جبل عالٍ وإلى كل شجرة خضراء وزنت هناك. فقلت بعدما فعلت كل هذه ارجعي إليَّ فلم ترجع»(٤١)، اضطر الله أخيراً أن يضم كل عصيان إسرائيل السابق واللاحق وجمع كل الأسباب معاً ونطق بالحكم الأخير:

«فرأيت أنه لأجل كل الأسباب، إذ زنت العاصية إسرائيل فطلقتها وأعطيتها كتاب **طلاقها.**»(٤٢)

---

(٤٠) مت ١٩: ٩.

(٤١) إر ٣: ٦ و٧.

(٤٢) إر ٣: ٨.

متى طُلِّقت الزانية :

في اليوم الذي اجتمع فيه رؤساء الكهنة مع رؤساء الشعب ونطقوا معاً بصوت عال: اصلبه اصلبه !! في ذلك اليوم أكملت العاصية شرورها، فأكمل الرب كأس غضبه عليها. في ذلك اليوم كُتب طلاق بنت صهيون الخائنة، لأنها طلبت علانية و بفجور أن يُطلَق لها باراباس اللص و يُصلَب ابن الله عريسُ إسرائيل.

كم كان عزيزاً على إله إسرائيل أن لا يعرف إسرائيل زمان افتقاده، وتتوه أورشليم عن عريسها، وتهين بعلها، وتضربه وتلطمه، وتضع صليب اللعنة والعار على كتفه الحلو، وتخرج به خارج المحلة وتقتله هناك[٤٣]... لذلك بكى عليها[٤٤]... ورأى يوم خرابها فحزن إلى الموت[٤٥]... ورثاها بكآبة قلب[٤٦]...

منذ ذلك اليوم وإسرائيل مطلَّقة ومهجورة لا تستطيع أن تقدم ذبيحة أو عبادة، وصلاتهم أصبحت غير مقبولة[٤٧]؛ بسبب كتاب الطلاق الذي دل عليه خراب بيت الزوجية هيكل أورشليم العظيم الذي حل فيه العريس يوم خطبة إسرائيل، وملأه بهيبة وجلال... ولكنه لم يشفق «هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً.»[٤٨]

وحينما دهم تيطس، عميل الرومان وعدو اليهود، أورشليم ودخل الهيكل ونجسه، ظن شعب إسرائيل أن الرب يغار غيرته الأولى على بيته فصرخوا إليه، ولكن هيهات! فقد غادر الرب هيكله وانشق حجاب الهيكل علامة أبدية[٤٩]!!

---

(٤٣) يو ١٩.
(٤٤) لو ١٩: ٤١.
(٤٥) مر ١٤: ٣٤.
(٤٦) لو ١٩: ٤١–٤٤.
(٤٧) هو ٣: ٤.
(٤٨) مت ٢٣: ٣٨.
(٤٩) لو ٢٣: ٤٥.

وزالت القداسة عن المقدَّسات، وفارق الرب شعبه كما فارق روح الرب شاول فدهمه روح نجس.[٥٠]

صلبت العروس عريسها؛ فزال عنها عزُّها ومجدها، وصارت المطلَّقة مستوحشة بلا عريس ولا رئيس ولا نبي ولا كاهن، ولا رائي ولا ذبيحة ولا مجمع[٥١]!! فقد استوفت المطلقة لعنة كتاب الطلاق.

وإسرائيل في غيِّها وحماقتها طلبت اللعنة، وسعت إليها، وطلبتها لها ولأولادها أيضاً؛ إذ كان نشيدهم يوم قتل عريسها: «دمه علينا وعلى أولادنا.»[٥٢]

ولم تتأخر النتيجة المرة، فقد نُقض الهيكل العظيم، ولم يُترك فيه حجر على حجر لم يُنقض، كما تكلم الرب؛ إشارة إلى تمزيق إسرائيل وتفرُّقهم في جميع أنحاء الأرض ليعيشوا غير مجتمعين، ونبوة واضحة صريحة على ابتداء زمان إقامة هيكل جديد.

□

بين الخيمة والهيكل:

١ ــ رأينا كيف أعطت الخيمة صورة لإمكانية حلول الله مع الإنسان؛ بعد أن يتقدس و يتطهر بماء ودم.

ثم عاد الهيكل وأعطى صورة لعدم إمكانية دوام قداسة الإنسان طالما يوجد حجاب أو خطيئة بينه و بين الله.

---

(٥٠) ١صم ١٦: ١٤.
(٥١) هو ٣: ٤.
(٥٢) مت ٢٧: ٢٥.

٢ ـــ ورأينا الخيمة وهي تهيم في البرية كيف تصور لنا الكنيسة وهي تسعى نحو الوطن الدائم وهي في هذا العالم...

ثم وجدنا الهيكل المتهدم كيف يبدد كل أمل في وجود هذا الوطن على الأرض.

٣ ـــ ورافقنا الخيمة وهي تُطوى، وتُفرد، وتُحمل، وتوضع، وتُضرب، وتُفكُّ، وكيف تعبِّر في ذلك عن الآلام والإضطهاد الذي ستجوزه الكنيسة في جهادها، أو عن الضيقات التي تجوزها النفس في برية العالم.

ثم الهيكل الواقف في أورشليم كالطود؛ كيف يمثل الكنيسة وهي تناطح الزمن في عصورها الأخيرة، أو النفس عندما تدخل راحتها وتستقر مع الله بعد حياة مضطربة.

٤ ـــ وعندما عبرت الخيمة نهر الأردن، وصارت هيكلاً، أعطت لنا صورة عن الإنتقال من الجسد العتيق إلى إنسان جديد عَبْر المعمودية.

٥ ـــ والضباب الذي كان يحل على الخيمة بالنهار، والنور الإلهي الذي يستقر عليها ليلاً يوضح لنا رعاية الله، وعنايته الدقيقة، وعينه المفتوحة على الكنيسة والنفس ليلاً ونهاراً، طول أزمنة جهادها، أو طالما هي في جهاد حقيقي.

وخراب الهيكل ينذر بمفارقة روح الرب للكنيسة أو النفس، إن هي تهاونت في أمانتها لله أو تخلت عن جهادها في الحق!

٦ ـــ ثم ضياع الخيمة وتخريب الهيكل وفقدان التابوت يهيىء ذهننا إلى هيكل آخر غير مصنوع بيد[٥٣]... ومدينة أخرى بانيها الله[٥٤]. منتقلين من أمثلة الأشياء

(٥٣) عب ٩: ١١. (٥٤) عب ١١: ١٦.

التي في السمويات إلى السمويات عينها[٥٥]. ومن أشباه الحقيقة إلى الحقيقة ذاتها، ومن مسكن مصنوع بجلود معزى أو حجر منحوت إلى «المسكن الأعظم والأكمل، غير المصنوع بيد، أي الذي ليس من هذه الخليقة.»[٥٦]



(٥٥) عب ٩: ٢٣. (٥٦) عب ٩: ١١.

الباب الثاني

السَّماويّات عَيْنُها

وكما تنبت الشجرة من البذرة فتظهر أوصافها التي كانت مختبئة في كيان البذرة المحدود،

كذلك ظهرت أوصاف الكنيسة وتجلّت دقائق الإيمان والخلاص والكرازة التي كانت تحتويها الطقوس والذبائح القديمة.

ولكن يلزم أن تموت البذرة، أو هكذا يظهر أنها تموت! لكي تقوم الشجرة، أما البذرة التي أنبتت الشجرة فلا تحسب أنها ماتت!!

فالعهد الجديد موجود ومختبيء في القديم، والقديم موجود ومُعلن وظاهر في الجديد!!

الفصل الأول

هيكـل جديـد

هيكل حي يملأ السماء والأرض

«انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه»(١)

■■■

ـ ١ ـ

هيكــل الجسد المقدس

لم يكـن اليهـود يـدرون أن المسيح يـتكلم عن هيكل جديد، هيكل روحي، هيكل جسده الإلهي(٢)، مشيراً بنقضه إلى صلبه وموته و بذلك ينتهي عصر السجود بالجسد في هيكل مصنوع باليد، ومشيراً بقيامته إلى بدء عصر العبادة بالروح والحق؛ لا في أورشليم، ولا في الجبـل، بـل في هـيكل الله الحي الذي يملأ السماء والأرض «فإنه فيه يَحلُّ كل ملء اللاهوت جسدياً.»(٣)

كـان المؤمـنـون يجتـمعون في خيمة من جلود، ثم كانوا يجتمعون في هيكل من حجـر. كـان المكـان يجمعهم، ودم الحيوانات يطهر أجسادهم، فيهيئهم للوجود في حضرة الله.

---

(١) يو ٢:١٩.

(٢) يو ٢:٢١.

(٣) كو ٢:٩.

كان المكان عنصراً هاماً في العبادة؛ فلم يكن إلا خيمة واحدة أو هيكل واحد، يحضر إليه كل يهود العالم لتقديم الذبيحة، ويجتمعون فيه... فإذا اجتمعوا في الهيكل معاً تطهروا، وإذا اشتركوا في الذبيحة الحيوانية تقدسوا بالجسد، وإذا خرجوا تفرقوا. فكانت وحدتهم مكانية مؤقتة، وكانت قداستهم جسدية محدودة.

ولكن، هل يستطيع المكان المحدود أن يجمع النفوس غير المحدودة؟
نحن نعرف أن المكان تحدده المادة؛ فكيف تنحصر فيه الروح؟
المكان يستطيع أن يجمع الأجساد فقط. أما النفوس المؤمنة، فهي لا تجتمع إلا في روح عظمى غير محدودة!

وهل دم الحيوان يستطيع أن يقدس الأرواح الخالدة؟
إن دم الحيوان يستطيع أن يقدس إلى طهارة الجسد فقط (٤)، أما النفوس فلا يقدسها إلا دم إلهي يتعمق كيانها الروحي غير المدرك.

هيكل غير محدود:

إن الخيمة في ظاهرها وباطنها، والهيكل في بنائه وكيانه؛ لم يكونا إلا رمزا للجسد؛ جسد السيد المسيح الذي حل فيه ملء اللاهوت متحداً به. الذي إذ أُعطي لنا أن نأكل منه نتحد به فنجتمع فيه!!

فصار جسد المسيح الخيمة الجديدة، والهيكل السري غير المنظور. الذي فيه يجتمع المؤمنون، بل و يتحدون!
وإذ أكل منه كل إنسان، امتد جسد المسيح الإلهي في جسد البشرية في كل

---

(٤) عب ٩: ١٣.

زمان ومكان!

وصار جسد المسيح حياً في الأرض كما في السماء يغطي كل العصور بأعضاء ثابتة فيه غير محصورة، وهم المؤمنون من كل لسان وشعب وأمة تحت السماء، سواء الذين رقدوا أم الذين يجاهدون.

إذن، فقد امتدت الخيمة إلى كل أطراف الأرض (٥)، واتسع الهيكل فشمل السماء، وعبر الأزمنة السالفة فشمل الأزلية، والأزمنة الآتية فشمل الأبدية، هيكل جسده القائم من الأموات، الكنيسة «التي هي جسده.» (٦)

والله بعد أن كان يحل في وسط شعبه، صار شعبه يأكلونه فيثبتون فيه و يتحدون فيجتمعون، كما تثبت الأغصان في الكرمة فتتحد بها مجتمعة!!

الحجاب في الهيكل الجديد:

كان الحجاب قديماً الذي يفصل قدس الأقداس عن المسكن و بالتالي عن الشعب من حرير أزرق، وكان يشير إلى السماء التي هي الحجاب الذي يحجب مسكن الله عن الإنسان.

ومعروف أنه ليس أحد اخترق هذا الحجاب قط ونزل إلا ابن الإنسان الذي صعد أيضاً (٧) إلى ما وراء هذا الحجاب (٨) إلى قدس الأقداس، سماء السموات، مسكن الله الآب حيث جلس عن يمينه ليتراءى أمام وجهه كرئيس كهنة من أجلنا «لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيدٍ أشباهِ الحقيقية، بل إلى السماء عينها

---

(٥) أع ١: ٨.
(٦) أف ١: ٢٣.
(٧) يو ٣: ١٣.
(٨) عب ٦: ١٩ و٢٠.

ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا .» (٩)

ولكن عندما صُلِب الرب وأسلَم الروح، انشق حجاب الهيكل فتراءى قدس الأقداس للإنسان؛ فدل ذلك في الحال على أن السماء قد انفتحت ودخل ابن الإنسان ليتراءى أمام الله . وإذ دخل الإبن وجد لنا فداءً أبدياً (١٠)، ورفع الحجاب الذي يفصل الله عنا (١١)، رمز الخطية التي أبطلها المسيح بذبيحة نفسه؛ فصار لنا نحن أيضاً «ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع» (١٢). وصرنا قادرين بجرأة أن نتقدم إلى عرش النعمة لنجد رحمة (١٣)، وذلك بواسطة أخذ جسد المسيح، الحجاب (١٤) الذي كان يحجب اللاهوت ويحمله، الذي لما انشق على الصليب كشف اللاهوت وأعلنه بالقيامة من الأموات (١٥)، الذي بعد أن كان حجاباً صار طريقاً حياً حديثاً إلى الأقداس (١٦)، الذي به صار للإنسان أن يرى الله في السماء بلا مانع: «ها أنا أنظر السموات مفتوحة وابن الإنسان قائماً عن يمين الله .» (١٧)

وهكذا صارت السماء وسماء السموات جزءاً مكشوفاً في الهيكل الجديد!! واتصلت الأقداس العليا في السموات بالأقداس المتواضعة على الأرض في الإنسان! أليس هذا هو ما نطلبه كل يوم «لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض» (١٨)؟

(٩) عب ٩: ٢٤.
(١٠) عب ٩: ١٢.
(١١) أف ٢: ١٤.
(١٢) عب ١٠: ١٩.
(١٣) عب ٤: ١٦.
(١٤) عب ١٠: ٢٠.
(١٥) رو ١: ٤.
(١٦) عب ١٠: ٢٠.
(١٧) أع ٧: ٥٦.
(١٨) مت ٦: ١٠.

رفع حاجز العداوة في الهيكل الجديد:

إن كانت السماء كما رأينا هي الحجاب وقد صارت طريقاً مفتوحاً، طريقاً حياً حديثاً لنا، بجسد المسيح (١٩) الذي يحجب اللاهوت ويحمله، وإن كانت سماء السموات هي قدس الأقداس الحقيقي حيث الله الآب وعن يمينه الإبن رئيس كهنة لنا يشفع فينا كل حين (٢٠)، وصار لنا دخول إليها نحن أيضاً بدم رئيس الكهنة، دم الذبيحة الإلهية الحية التي قُدِّمت **بروح أزلي** (٢١) لندخل بها إلى الأقداس **بثقة** (٢٢)، إذن فأين الهيكل ذاته؟

يجيب بولس الرسول: «أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم... لأن هيكل الله مقدس الذي أنتم هو.» (٢٣)

لم يعد هيكل الله، إذن، حجارة صلبة وأعمدة رخامية، بل حجارة حية، قلوباً لحمية، نفوساً مفتوحة منيرة، أعمدة إيمان لا تزعزعها الجبال، و بالإختصار «أنتم... بناء الله.» (٢٤)

أما الحاجز المتوسط، حاجز العداوة، الذي كان يفصل أروقة اليهود عن رواق الأمم، رمز العداوة بين الإنسان وأخيه الإنسان؛ فقد رفعه المسيح من الوسط، إذ صالح الإثنين في جسد واحد، أي في جسده، مع الله بالصليب قاتلاً العداوة بموته عن الإثنين: أي اليهود والأمم؛ فنقض حائط السياج المتوسط بينهما: أي ناموس موسى وفرائض اليهود، فصار دمه عهداً جديداً وخلاصاً لكليهما جاعلاً الإثنين

(١٩) عب ١٠: ٢٠.
(٢٠) عب ٨: ١.
(٢١) عب ٩: ١٤.
(٢٢) عب ٤: ١٦.
(٢٣) ١ كو ٣: ١٦و١٧.
(٢٤) ١ كو ٣: ٩.

واحداً، الأمم كاليهود في كل شيء. وإذ يتناول الجميع من جسد واحد و يتقدسون بدم واحد، صار الكل معاً وحدة واحدة، هيكل الجسد الواحد، وأصبح للجميع قدوم إلى الله الآب بروح واحد محسوبين جميعاً رعية واحدة مع القديسين وأهل بيت الله، كل من يؤمن. (٢٥)

وبذلك تمت النبوة إذ جلس الذئب مع الخروف، وأكلت الكلاب مع البنين (٢٦)، والأسد انقلب إلى حمل وديع. فإسرائيل كان معتبَراً كالحمل والأمم حوله ذئاباً (٢٧) وكلاباً. (٢٨)

ولكن لم يمضِ وقت طويل حتى رأينا إسرائيل، كالذئب؛ قام وافترس الحمل على الصليب!! وأحاطوا بالحبيب الوديع، وهويئن على الصليب، كالكلاب وكوحوش مفترسة، سبق ورآهم داود بعين النبوة ووصف وكتب بلسان المسيح: «أحاطت بي ثيران كثيرة... فغروا عليَّ أفواههم... أحاطت بي كلاب. جماعة من الأشرار اكتنفتني. ثقبوا يديَّ ورجليَّ» (٢٩)، وحينما أرسل الرب تلاميذه إلى اليهود أوصاهم: «ها أنا أرسلكم مثل حملان بين ذئاب.» (٣٠)

شكراً للحمل الوديع، الذي نضح من دمه على الجميع؛ فعادت الذئاب إلى حظيرة الإيمان ذئباً إثر ذئب، وأسداً إثر أسد، حتى شاول الذي كان كأسد شديد الوطأة، الذي كان ينفث تهدداً وقتلاً (٣١)، وأتلف حظيرة الخراف بإفراط (٣٢)؛

---

(٢٥) أف ٢: ١٩.

(٢٦) مر ٧: ٢٧.

(٢٧) مت ١٠: ١٦.

(٢٨) مت ٧: ٦.

(٢٩) مز ٢٢.

(٣٠) لو ١٠: ٣.

(٣١) أع ٩: ١.

(٣٢) غل ١: ١٣.

عاد وخضع ودخل كحمل وديع بل وصار راعياً مؤتمناً على خراف كثيرة، لأن دم الحمل نضح عليه!!

والأمم المعتَبَرون كلاباً اغتسلوا، بل تقدسوا، بل تبرروا باسم الرب يسوع وبروح إلهنا (٣٣). فدخلوا وأكلوا من خبز الوجوه خبز الإله (٣٤) الذي لم يكن يحلُّ أكله إلا لكهنة اليهود!! لأن الأمم شركاءٌ في الميراث والجسد!! (٣٥)

شكراً للذي قتل العداوة بالصليب؛ فلم يعد يهوديٌ ولا يوناني، ولا عبد ولا حر، بل الكل واحد في المسيح. (٣٦)

وهكذا اتسع هيكل الخلاص الجديد، وقام بناؤه شامخاً لا حدود له؛ فأطراف الأرض تضيق عن أن تسعه، والزمان لا يحدُّه بماضيه السحيق ومستقبله المجهول. هيكل ذو رواق واحد بلا حواجز كملاءة متسعة مدلاة من السماء (٣٧)، يجتمع فيها كل لسان: فرثيون، وماديون، وعيلاميون، والساكنون ما بين النهرين، واليهودية وكبادوكية، وبنتس وآسيا، وفريجية وبمفيلية ومصر ونواحي ليبيا التي نحو القيروان، والرومانيون المستوطنون، كريتيون وعرب (٣٨)، وباقي أفريقيا وأوروبا وأمريكا وآسيا، وأستراليا وجزائر البحر، وكل اسم يسمَّى تحت السماء!! كلهم حجارة حية «عليها اسم أبي» و«إسمي الجديد» (٣٩) «وإسم أورشليم الجديدة» (٤٠)، بيت روحي كهنوت مقدس (٤١) «مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح

---

(٣٣) ١ كو ٦: ١١.

(٣٤) مت ١٢: ٤.

(٣٥) أف ٣: ٦.

(٣٦) غل ٣: ٢٨.

(٣٧) أع ١٠: ١١.

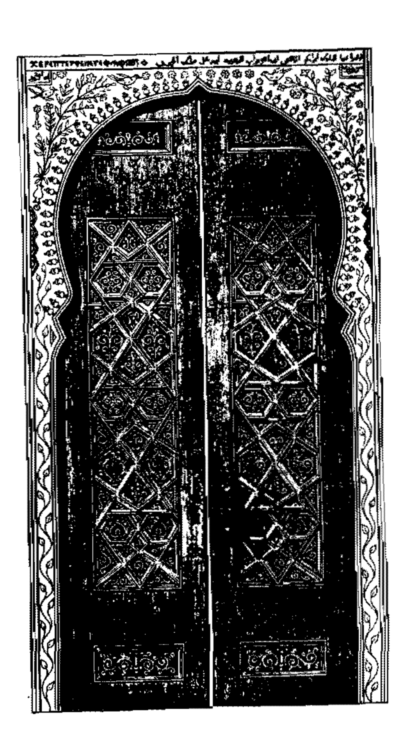
(٣٨) أع ٢: ٩–١١.

(٣٩) راجع رؤ ٣: ١٢.

(٤٠) راجع رؤ ٣: ١٢.

(٤١) ١ بط ٢: ٥.

نفسه حجر الزاوية الذي فيه كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلاً مقدساً في الرب، الذي فيه أنتم أيضاً مبنيون معاً مسكناً لله في الروح.» (٤٢)



(٤٢) أف ٢: ٢٠ـ٢٢.

— ٢ —

اليهود فقدوا وطنهم الأرضي وانتزع منهم لقب الشعب المختار

■■■

هي ضلالة أكثر منها خدعة أن يطلب اليهود وطنهم الأول؛ لأنهم فقدوه إلى الأبد...

كان لليهود وطن أرضي، وكان لوطن اليهود قصة ورسالة تمت وكملت بمجيء المسيا...

ولقد جاء المسيا مسيح الرب يدعو إلى وطن أفضل أي سماوي، لقد فك الحصار الوهمي الذي أسسته العداوة، ودعمته البغضة بين الإنسان وأخيه الإنسان!!

ولكن للأسف، إسرائيل رفضت مسيا السلام ورب المصالحة وذبيحة الكفارة... إسرائيل صممت أن تحيا في العداوة، وفضلت أن تتغذى على الكبرياء العنصري و بغضة الشعوب...

هي مُساقة بشعورها العنصري البغيض إلى التكتل، هي تتجمع الآن لتأسيس مركز عداوة عالمي.

تجمُّع إسرائيل الآن ليس من إرادة الله في شيء، لأنهم في سعيهم لذلك لا يطلبون وجه الله، ولا يعتمدون على ذراع الرب؛ إنهم مغمورون في جوقاتم من

السياسة يتذللون للأمم الكبيرة في ضعة، وفي مهانة يطلبون معونة يتطلعون من ورائها إلى السطوة وإلى الإنتقام.

لقد ضلت إسرائيل، وانخدعت الأمم الكبرى وراء إسرائيل. وانخدع كثيرون من الكتاب العالميين والمسيحيين معتقدين أن في تجمُّع إسرائيل نصرة للرب، وفي عودة الصهيونية تكميلاً للنبوة.

لا... لا... لا، لن تعود إسرائيل إلى حظيرة الإيمان وهي في كبرياء الإنتصار. فسيح الصليب لا يتعرف عليه حاملو السيوف، ورب السلام لا يأتي إليه باغضو الشعوب. فإسرائيل في الواقع تجتمع ليوم انكسار، إسرائيل ستسحقها الأمم سحقاً، وفي سحقها ستذكر خطيتها، وفي ذلها ستندم في التراب. و يومئذ يُستعلن لهم ذاك الذي طعنوه على الصليب فيتعرفوا عليه، لا كإله إسرائيل فيما بعد بل إله كل الشعوب، و يعلموا أن قدوس إسرائيل هو محب كل البشر...

إسرائيل فارقها روح الرب، لذلك تطلب وطناً في فلسطين وإن كان على أشلاء العرب، إنها تسعى إلى عزلتها الأولى. هي تنظر إلى يهوه (الله) كأنه منحصر في تخوم اليهودية تحيط به حدود بلاد يعقوب...

إسرائيل في غباوة الروح تريد أن تؤسس لله وطناً على الأرض!! ولو على جثث الناس!!

لابد أن تفقد إسرائيل إسرائيليتها حتى تستطيع أن تفهم الله، ولابد أن تفقد وطنها حتى تفهم الناس.

فليس للدين وطن وإلا حصرنا الله في الزمان والمكان. الأرض كلها لا تصلح أن تكون وطناً لله، ولكن الله يجب أن يكون وطناً لجميع الناس...

إسرائيل لا زالت تنظر نفسها كشعب مختار وحيد لله: هذه عنصرية هادمة لمعنى الألوهية ولروح البشرية في آن واحد. فالله قابلٌ لجميع الشعوب لأنها خليقته «في كل أمة الذي يتقيه و يصنع البر مقبول عنده»(٤٣)، «لأن ليس عند الله محاباة.»(٤٤)

لقد أتت جميع الأمم لله في أُلفة الجنس واتضاع العبادة، إلا إسرائيل؛ فقد أصرت على عنصرية الجنس وكبرياء التشيع لله. لذلك يقول بولس الرسول إن الله قطع إسرائيل من شجرة البشرية(٤٥) فصارت فرعاً يابساً، لأنها رفضت شركة الحب مع الناس، ولايزال فرعها مطروحاً على وجه كل الأرض يابساً غريباً عن شجرة الناس إلى هذا اليوم، وسيظل مطروحاً يابساً إلى أن تعلم إسرائيل أنه لا عنصرية بين الناس ولا تشيع في الله.



(٤٣) أع ١٠: ٣٥.
(٤٤) رو ٢: ١١.
(٤٥) رو ١١: ١٧.

— ٣ —

عـــودة المطلقـــة

ستعود المطلقة بنت صهيون العاثرة لتدخل رواق الأمم صاغرة، إذ لا يمكن أن تبقى عداوة طالما صليب ربنا مرفوع «وظله ملق على المتخاصمين» !!

لأنها حُجزت خارجاً إلى أن يدخل ملء الأمم، لئلا تفسدهم العاصية بسحرها(٤٦)، أو تتجسس على حريتهم التي نالوها في المسيح (٤٧)، وتفرض عليهم فرائض(٤٨)، وتفسد ذهنهم بمكرها عن البساطة التي في المسيح (٤٩)، وتكرز لهم بإنجيل آخر(٥٠)، أو تبني لهم على أساس آخر غير المسيح، عشباً وقشاً(٥١) ووصايا هي تعاليم الناس. (٥٢)

وقد عرفنا من بولس الرسول أنهم عائدون: «فأقول ألعلّهم عثروا لكي يسقطوا. حاشا! بل بزلتهم قد صار الخلاص للأمم لإغارتهم؛ فإن كانت زلتهم غنىً للعالم ونقصانهم غنىً للأمم فكم بالحري ملؤهم؛ لأنه إن كان رفضهم هو مصالحة العالم فماذا يكون اقتبالهم إلا حياة من الأموات... إن القساوة حصلت جزئياً لإسرائيل إلى أن يدخل ملء الأمم، وهكذا سيخلص جميع إسرائيل.» (٥٣)

---

(٤٦) نا ٣: ٤.
(٤٧) غل ٢: ٤.
(٤٨) كو٢: ٢٠.
(٤٩) ٢ كو ١١: ٣.
(٥٠) غل ١: ٦.
(٥١) ١ كو٣: ١٢.
(٥٢) مت ١٥: ٩.
(٥٣) رو ١١: ١١—٢٦.

إرميا يؤكد:

ستعود لأن الرب رحيم طويل الروح وكثير الرحمة، اسمه وهو يناديها بالنبوة على فم إرميا:

«إذهب ونادِ بهذه الكلمات نحو الشمال وقُل آرجعي أيتها العاصية إسرائيل، يقول الرب، لا أُوقع غضبي بكم لأني رؤوف، يقول الرب، لا أحقد إلى الأبد.

اعرفي فقط إثمك أنكِ إلى الرب إلهك أذنبتِ، وفرّقتِ طُرقك للغرباء تحت كل شجرة خضراء، ولصوتي لم تسمعوا، يقول الرب.

آرجعوا أيها البنون العصاة، يقول الرب، لأني سُدْتُ عليكم فآخذكم واحداً من المدينة وآثنين من العشيرة وآتي بكم إلى صهيون.

وأعطيكم رعاة حسب قلبي فيرعونكم بالمعرفة والفهم...

لا يقولون بعد تابوت عهد الرب ولا يخطر على بال ولا يذكرونه ولا يتعهدونه ولا يُصنعُ بعد.

في ذلك الزمان يُسمُّون أورشليم كرسيَّ الرب ويجتمع إليها كل الأمم، إلى آسم الرب...

أضعكِ بين البنين...

تَدْعينني ياأبي ومن ورائي لا ترجعين» (٥٤) !!

والنبوة لا تحتاج إلى شرح فعودة إسرائيل ستكون على رجاء آخر غير التابوت الذي كان سر قوتهم وعزهم، بل تقول النبوة إنه لا يخطر لهم على بال لأن إجتماعهم سيكون بدم المسيح في جسد الرب! وتوضح النبوة إجتماعهم مع الأمم معاً حول كرسي الرب في أورشليم، وأنهم سيأخذون مكانهم وسط البنين المختارين

---

(٥٤) إر٣: ١٢—١٩.

من الأمم . وتؤكد النبوة أن دخولهم سيكون بلا رجوع بل يبقون مع الرب إلى الأبد .

هوشع يمثل و يشرح :

وهناك نبوة واقعية مثلها هوشع النبي تمثيلاً، حينما انطلق بأمر الرب وتزوج بزانية لها أولاد من زنى . ليكون في ذلك وصف دقيق لكيفية قبول الرب بنت صهيون مرة أخرى بعد أن تكون قد تركت الرب ، وأنسلت أولادها بعيداً عنه !!

«إذهب خذ لنفسك آمرأة زنى وأولاد زنى... فذهب وأخذ جومر بنت دِبلايم »(٥٥)، ثم عاد الرب وكرر النبوة للتوضيح : «إذهب أيضاً أحبب آمرأة ، حبيبة صاحب (أي كان لها زوج يحبها)، وزانية (أي تكون قد خانته) كمحبة الرب لبني إسرائيل وهم ملتفتون إلى آلهة أخرى !!... فاشتريتُها لنفسي بخمسة عشر شاقل فضة... وقلت لها تقعدين أياماً كثيرة لا تزني ولا تكوني لرجل... لأن بني إسرائيل سيقعدون أياماً كثيرة بلا ملك و بلا رئيس و بلا ذبيحة و بلا تمثال و بلا أفود وترافيم . بعد ذلك يعود بنوإسرائيل و يطلبون الرب إلههم وداود ملكهم و يفزعون إلى الرب وإلى جوده في آخر الأيام . »(٥٦)

إشعياء يرى يوم العودة:

وأما إشعياء النبي فاختص في وصف يوم رجوعها وزيّن القول بعبارات بهجة وبكلمات مفرحة وكأنه رأى ذلك اليوم واشترك في مسراته :

ـــ «قومي استنيري لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك... تسير الأمم في نورك والملوك في ضياء إشراقك . ارفعي عينيك حواليك وانظري . قد اجتمعوا كلهم . جاءوا إليكِ ، يأتي بنوكِ من بعيد وتُحمل بناتك على الأيدي . حينئذ تنظرين

(٥٥) هو ١: ٢.

(٥٦) هو ٣: ١ـ٥.

وتنيرين ويخفق قلبك و يتسع . »(٥٧)

ـــ «ألست أنت هي المنشِّفة البحر مياه الغمر العظيم ، الجاعلة أعماق البحر طريقاً لعبور المفديين (إشارة إلى عبور إسرائيل البحر الأحمر ونهر الأردن كمن يفتتح طريقاً في وسط الموت لشعوب العالم الآتية بعدها). ومفديو الرب يرجعون و يأتون إلى صهيون بالترنُّم ، وعلى رؤوسهم فرحٌ أبديٌّ . »(٥٨)

ـــ «ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد (أولاداً في الإيمان)، أشيدي بالترنم أيتها التي لم تمخض (أي التي لم تُخرج من المعمودية أولاداً روحيين)، لأن بني المستوحشة (أي التي طلقها الرب وهجرها وأعطاها كتاب طلاق) أكثر من بني ذات البعل (أي الذين خطبهم المسيح لنفسه)، قال الرب (أي حينما يعود بنوإسرائيل إلى الرب و يؤمنون يكون عددهم في ذلك الزمان أكثر من عدد المخلصين من الأمم في ذلك الوقت)... لا تخافي لأنكِ لا تخزَينَ، ولا تخجلي لأنكِ لا تستحِينَ. فإنك تنسين خزي صباك وعار ترمُّلك لا تذكرينه بعد. لأن بعلك هوصانعك (أي أن عريسك الذي طلقك هو هونفسه الله فهو لذلك سيرحمك) رب الجنود آسمه ، ووليُّك قدوس إسرائيل (أي المتولي عليك أي بعلك ، آسمه مقرون دائماً باسمك «قدوس إسرائيل») إله كل الأرض يُدعى. لأنه كامرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاكِ الرب ، وكزوجة الصبا إذ رُذلتِ قال إلهك : لُحيظة تركتكِ وبمراحم عظيمة سأجمعك . »(٥٩)

ـــ «أجعلُ كل بنيك تلاميذ الرب ، وسلامَ بنيك كثيراً...
لا يُقال بعدُ لكِ مهجورة... لأن الرب يُسرُّبك...

(٥٧) إش ٦٠: ١و٤و٥.

(٥٨) إش ٥١: ١٠و١١.

(٥٩) إش ٥٤: ١ـ٧.

فترى الأمم برَّك وكل الملوك مجدك، وتُسمَّين بإسم جديد يعينه فم الرب، وتكونين إكليل جمال بيد الرب وتاجاً ملكياً بكف إلهك... وكفرح العريس بالعروس يفرح بك إلهك.» (٦٠)

ــ «من سمع مثل هذا؟ من رأى مثل هذه؟ هل تمخض بلاد في يوم واحد؟ أو تولد أمة دفعة واحدة؟ فقد مخضت صهيون بل ولدت بنيها» (٦١)!! (أي أن الشعب اليهودي سيؤمن بالمسيح مرة واحدة و يعتمد معاً).

ــ «إفرحوا مع أورشليم وابتهجوا معها ياجميع محبيها.» (٦٢)

أخيراً جداً:

وهكذا حينما يدخل ملء الأمم، و يكمل بناء الخلاص للعالم، ويمتلىء بيت الله بأبناء الحظائر الأخرى، تعود فتدخل المطلَّقة بنت صهيون؛ إذ تكون قد أكملت زمان غضبها ووفَّت مكيال آبائها. وإذ تدخل إسرائيل إلى رواق الأمم صاغرة، يتم و يكمل عمل الصليب؛ إذ يكون قد رُفع إلى الأبد حاجز العداوة المتوسط بين اليهود والأمم الذي لا يزال قائماً جزئياً.

موضع مناسب:

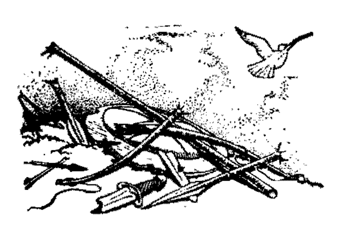
وماذا يكون نصيبها وموضعها في هيكل الخلاص العالمي؟ وهي قد جاءت هكذا أخيراً؟ إلا القمة حيث تصير «إكليل جمال بيد الرب وتاجاً ملكياً بكف الله» كقول إشعياء (٦٣). لأن المعرفة والإستنارة الروحية ستزُاد لها، ودقائق طريق الخلاص ستُكشف أمامها، في الوقت الذي فيه ستعم الظلمة معرفة الأمم وتغطي

(٦٠) إش ٥٤: ١٣، ٦٢: ٢ـ٥.
(٦١) إش ٦٦: ٨.
(٦٢) إش ٦٦: ١٠.
(٦٣) إش ٦٢: ٣.

الخطية قلوبهم.

ــ «أما عليكِ فيشرق الرب، ومجدُهُ عليكِ يُرى، فتسير الأمم في نورك، والملوك في ضياء إشراقك.» (٦٤)

لأنه سيتم قول بولس الرسول نبي العهد الجديد المفتوح العينين وتتحقق أقواله كاملة، الذي يؤكد أن رجوعهم سيكون غنى للأمم، وقبولهم أخيراً سيكون للأمم بمثابة حياة من موت، إذ سيكون الأمم في أشد الحاجة إلى رجوعهم إلى الرب. لأن رجوعهم إلى الإيمان بالله ومحبة الناس سيكون إيذاناً ببدء عصر سلام عالمي وانسكاب المحبة الإلهية في قلوب الناس جميعاً، فيتآلف الإنسان بأخيه الإنسان، وتُرفع اللعنة العنصرية بين بني البشر، وتتم وحدة الإنسان على مثال وحدة الله.



(٦٤) إش ٦٠: ٢و٣.

الفصل الثاني
أعضاء في هيكل جسده

تمـــهيد

■■■

تغيير مستمر:

في ومضات خاطفة تمتعنا برؤية بعض مناظر الخلاص وهي منعكسة من أصولها الأولى، كما كان يراها ويحيا فيها الآباء قديماً، وكما صوَّرها موسى النبي وتكلم عنها الأنبياء. ولكنا لم نستطع أن نقف طويلاً عند أيٍّ من هذه المناظر الكثيرة، لأننا وجدنا الخيمة غير مستقرة، تتحرك مع الزمن وتتغير مع الإنسان، والهيكل أيضاً كان مرتبطاً بمدى علاقة الشعب بالله؛ فاستُهدف للهدم والبناء بقدر ما قرب الشعب أو ابتعد عن الحق.

فكأنما كانت هذه المناظر المتلاحقة تعلن في تحركها وتغيرها، عن الحقيقة القادمة التي تبقى كما هي بلا تغيير أو شبه دوران!

النهاية:

ونحن عبرنا بسهولة وبسرعة من الخيمة إلى الأردن، إلى مُلْك الأمم، إلى الهيكل في أورشليم، ثم إلى الصليب. ولكن ماذا بعد الصليب؟

لا شيء!! فقد بلغنا فيه الغاية والنهاية، ووضعنا أيدينا على الذبيحة الحية الخالدة التي لم يمنعها موت عن دوام البقاء، وستظل كما هي يوم أن قُدِّمت وإلى أبد الآبدين:

ـــ «ورأيت فإذا في وسط العرش والحيوانات الأربعة وفي وسط الشيوخ **خروف قائم كأنه مذبوح**... ونظرت وسمعت صوت ملائكة كثيرين حول العرش والحيوانات والشيوخ، وكان عددهم ربوات ربوات وألوف ألوف قائلين بصوت عظيم: مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة. وكل خليقة مما في السماء وعلى الأرض وتحت الأرض وما على البحر؛ كل ما فيها سمعتها قائلة: للجالس على العرش وللخروف البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الآبدين.»[١]

يسوع المصلوب هو الحقيقة الخالدة وهو الذي انعكس ظله على الدهور السالفة، فرُئي كحمل يُذبح للتطهير. وانعكس نوره على الدهور القادمة أو على الأبدية، فرآه يوحنا الإنجيلي في الرؤيا **كحمل قائم كأنه مذبوح!** إذن فهو الحق غير المتغير؛ إنما رُئي في القديم كظل تتغير كثافته شيئاً فشيئاً، إلى أن أشرق على الجالسين في الظلمة وظلال الموت بكامل لمعانه وإشراقه. ومنذ أن استُعلن على الصليب وهو يزداد إشراقاً؛ وسيبقى كذلك إلى أبد الدهور.

إذن، فنحن بلغنا نهاية التغيير، وواجهنا الحق الذي لن يتغير، فلنثبِّت ذهننا أيضاً، أو بالحري فلنجدد ذهننا كل يوم لنستوعب الحقائق المذخرة في ذبيحة الصليب، لأنها موضوع خلاصنا في هذا الدهر، وموضوع مسرتنا في الدهر الآتي. فحوادث الجلجثة لم ولن تتغير؛ وهي لا ترمز إلا إلى نفسها؛ ولا تشير إلا إلى الحق الكامل الذي فيها؛ وهي تزداد وضوحاً للذين يجددون معرفتهم كل يوم.

والآن نحن لسنا بصدد جلود معزى أو حرير أزرق أو حجارة منحوتة أو دم

---

(١) رؤ ٥: ٦و١١ـــ١٣.

تيوس وعجول؛ ولكن أمام طبيعة الله الحي!!

ولسنا بصدد أمور يمكن أن نعرفها ويمكن أن نجهلها، بل أمام المصدر الذي نستمد منه وجودنا وكياننا؛ فأي إهمال في التعرف عليه هو موت لنا وحرمان أبدي من ميراثنا في المسيح.

ونحن لسنا بصدد بناء من حجارة وطلاء؛ ولكن أمام وصايا وكلمات حية فعالة أمضى من كل سيف ذي حدين خارقة إلى ما بين النفس والروح والمخاخ والمفاصل، مميزة أفكار القلب ونياته؛ وأمام حياة وسلوك ربنا يسوع. فمطلوب منا أن نبني حياتنا على ذات النموذج!

وأخيراً، نحن لسنا بصدد هيكل عبادة ندخل لنسجد فيه بالجسد مرة في الأسبوع، أو في السنة، ونقدم عطية أو قرباناً قيمته ريال أو جنيه؛ بل أمام جسد المسيح السري، الذي تنحجب فيه نار اللاهوت المتأججة؛ فإما أن نقترب لنتطهر فنثبت ونأتي بثمر الروح الناري، وإما أن نحترق فنُقطع ونُلقى خارجاً.



أعضاء في هيكل جسده

«من لحمه ومن عظامه»(٢)

إننا الآن أمام أعظم مبدأ روحي استُعلن لرجال الله القديسين منذ آدم حتى اليوم، وهو يكاد أن يكون محور عقيدة الخلاص كلها في العهد الجديد.

و يتلخص في أن المؤمنين حينما يعتمدون و يأكلون جسد الرب ودمه يتحدون بجسد المسيح السري: «من يأكلني فهو يحيا بي»(٣)، صائرين أعضاءً حية ثابتة متجاوبة ومتحدة معاً فيه. هذا الجسد مع هذه الأعضاء هو الكنيسة!

—□—

— ١ —

كيف يتحد المؤمن بجسد المسيح

■

(أ) بأن نموت أولاً معه:

إن المسيح لما مات على الصليب لم يمتْ لنفسه، بل مات لأجلنا(٤)، مات عنا. وهنا يبدأ سر الصلة بين جسد المسيح الإلهي ونفس الإنسان.

---

(٢) أف ٥: ٣٠.

(٣) يو ٦: ٥٧.

(٤) ١ كو ١٥: ٣.

فإذا آمنت أن الله ظهر في الجسد، وأن هذا الجسد مات على الصليب، وأن هذا الموت هو من أجلك؛ فإن هذا الموت يصير لك أو تصير أنت له، أو بمعنى أوضح يكمل فيك لأنه أُكمل من أجلك!

ولكن جسد المسيح مات فعلاً. إذن، تكون أنت بإيمانك مشتركاً مع جسد المسيح في الموت، وهذه هي أول صلة بين جسد المسيح والمؤمن.

هذه الصلة تأخذ قوتها ومسحتها بالمعمودية بالروح القدس في سر، فتصير المعمودية ختماً لبر الإيمان، إذ نُدفن في الماء مؤمنين أننا نعتمد لموته [٥]، فنأخذ فينا عمل موته بالإيمان.

(ب) ثم نقوم ثانياً معه:

ولكن هذا الجسد عينه الذي مات هو جسد إلهي لا يمكن أن يبقى في الموت [٦]؛ لأنه إن كان قد مات بسبب خطايانا التي أخذها في جسده على الصليب [٧]، إلا أنه قام بسبب: أنه هو نفسه كان بلا خطية.

لأن أجرة الخطية هي موت [٨] للذين يخطئون. فإذا وُجد جسد بدون خطية ولكنه حمل خطية غيره؛ فإنه يمكن أن يموت؛ ولكن لا يمكن أن يبقى في الموت! لذلك قام المسيح وكان يجب أن يقوم، بعد أن دفع بموته أجرة خطية غيره. فإن كنتُ قد اتحدتُ أنا مع الجسد الإلهي في موته بالإيمان والمعمودية، وإن كان الجسد الإلهي حمل خطيتي في جسده ومات؛ فإنه يكون قد وفَّى أجرة خطيتي؛ لذلك لا بد أن أقوم معه أيضاً [٩] لأني أكون قد تبررت من خطيتي بموته.

---

(٥) رو ٦: ٣.
(٦) أع ٢: ٢٤.
(٧) ١بط ٢: ٢٤.
(٨) رو ٦: ٢٣.
(٩) أف ٢: ٦.

إذن، لما قام المسيح بجسده حياً قمتُ أنا أيضاً معه [١٠]، وهكذا توثقت صلتي جداً بقيامته إذ صرت حياً بحياته وصارت حياتي خالدة بأبديته.

وقد رأينا أن قوة الإتحاد بموته تكمل بالمعمودية كختم سري لبر الإيمان. أما هنا فقوة الإتحاد بقيامته تكمل بأخذ **جسده الحي** أي القائم من الأموات **ودمه المحيي** أي الذي يقيم من الموت؛ فصرنا أحياء في هذا الجسد، وسنحيا بدمه ولو متنا!! [١١]

بذلك صار جسد المسيح يشمل المؤمنين كأعضاء فيه، حية به في ثبوت متبادل معه، هم فيه وهو فيهم [١٢]. ومن هنا بدأت كلمة «كنيسة» التي تعني جسم المسيح السري المنظور في المؤمنين «وأخضع كل شيء تحت قدميه وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة التي هي جسده.» [١٣]

علامة الإتحاد:

والمؤمنون لا يكونون أعضاء في الجسد بمجرد إيمانهم، أو حياتهم، بل بما لهم من هبة روحية؛ فالعضو تتحدد هيئته في الجسد بتحديد عمله الروحي، و يأخذ وظيفته في الجسد السري على قياس الهبة التي ينالها من المسيح [١٤] بسبب اتحاده في الجسد أو على قدر ثبوته فيه!

ــ «وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح.» [١٥]

---

(١٠) أف ٢: ٦.
(١١) يو ١١: ٢٥.
(١٢) يو ٦: ٥٦.
(١٣) أف ١: ٢٢و٢٣.
(١٤) أف ٤: ٧.
(١٥) أف ٤: ١١و١٢.

إذن فجسد المسيح في الكنيسة وإن كان غير منظور إلا أنه يُستعلن و يُدرَك في الهبات التي ينالها الأعضاء المؤمنون. ولكن ما صلة جسد المسيح السري في الكنيسة، وجسده الذي في السماء الجالس عن يمين الله؟

هو جسد واحد بلا تفريق في السماء وعلى الأرض؛ غير أنه وإن كان جسده فينا يُستعلن و يُدرَك في الهبة، ففي السماء يُستعلن أو يُدرَك كواهب!!

لذلك اعتُبر أقنوم المسيح، في السماء رأساً، وفينا أعضاء!! «لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه» (١٦)، «وهو رأس الجسد الكنيسة.» (١٧)



(١٦) أف ٥: ٣٠.

(١٧) كو١: ١٨.

— ٢ —

الثبوت المتبادل

أو الصلة المتبادلة بين الأعضاء المؤمنين والمسيح! «من يأكل جسدي و يشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه.» (١٨)

(أ) يثبت فيَّ:

حقاً إننا بأكلنا جسد الرب و بشربنا دمه نصير أعضاء فيه «لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه». و بذلك نأخذ حياته وصفاته فينا: «**يحيا بي**»، فتسري فينا قوته الشخصية التي غلب بها الآلام والخطية والعالم والموت والهاوية، وهي إمكانيات فائقة على طبيعتنا البشرية، ولا يمكن أن نغلب إلا بها حينما نأخذها بقوة السر الكائن في تناول جسد الرب ودمه.

هذا هو معنى «من يأكلني يحيا بي»، وهذه هي فاعلية «يثبت فيَّ».

(ب) وأنا فيه:

تحوي هذه الكلمة سراً عميقاً! يا ليت الله يفتح ذهننا لندرك المعنى! فالمسيح إذ أعطانا جسده لنحيا به، إتحد هو بنا، كما إتحدنا نحن به؛ فكما أخذنا حياته فينا، صارت حياتنا نحن أيضاً محسوسة عنده، أي أن آلامنا وأتعابنا وضيقاتنا وهمومنا ليست فقط معروفة عنده أو منظورة له، ولكنها محسوسة أيضاً. كقول إشعياء النبي: «أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها... وتأديب سلامنا عليه.» (١٩)

(١٨) يو٦: ٥٦.

(١٩) إش ٥٣: ٤و٥.

لأنه كما تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو فيهما أيضاً، كقول بولس الرسول[٢٠]؛ لكي يطمئننا على أنه عارف بأوجاعنا كشريك لنا فيها فلا يعود يئن لنا بل يئن معنا بل فينا!![٢١]

لأنه لم يغفر خطيتنا بكلمة ولا رفعها عنا بسهولة ومجاناً؛ بل غفرها بسكب دمه، ورفعها عنا بأن حملها في جسده على الصليب «الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة.»[٢٢]

وهو لم يبقَ جسداً محدوداً منفصلاً عنا، بل أعطانا جسده فأكلناه، فصار جسده فينا، نحيا بحياته.

وهكذا ترتب على حياتنا وثبوتنا في جسد المسيح أن صرنا معه واحداً «من التصق بالرب فهو روح واحد»[٢٣]، «إنكم لستم لأنفسكم»[٢٤]؛ وصار بذلك يتأثر لأتعابنا وآلامنا وضعفاتنا.

فكما تتأثر الأعضاء بالرأس فتأخذ مجدها وكرامتها وحكمتها وعلمها وتمييزها، كذلك تتأثر الرأس بالأعضاء، فتأخذ آلامها وتحس بأعوازها وتستجيب لحاجاتها.

وأبلغ دليل على ذلك قول الرب لشاول: «شاول شاول لماذا تضطهدني»[٢٥]، لأن أنين الأعضاء على الأرض برَّح بالرأس في السماء؛ وتعذيب المؤمنين كان تألماً مباشراً للرب. ويمكننا أن نتعمق أيضاً هذه الوحدة في قول الرب للذين صنعوا رحمة بالفقراء والمساكين والعراة: «بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر في

(٢٠) عب ٢: ١٤.
(٢١) راجع عب ٤: ١٥.
(٢٢) ١بط ٢: ٢٤.
(٢٣) ١كو ٦: ١٧.
(٢٤) ١كو ٦: ١٩.
(٢٥) أع ٩: ٤.

فعلتم»[٢٦]. وليس الأمر مأخوذاً على المجاز وإلا تعرضت وحدتنا مع المسيح وثبوتنا فيه وحياتنا به إلى الدخول في مجرد ألفاظ، حاشا! فالمسيح يتألم فعلاً بآلام المؤمنين «صار لهم مخلصاً وفي كل ضيقهم تضايق.»[٢٧]

ولكن لا يزال هناك أيضاً نوع آخر من الآلام يتأثر بها الرب وهي التي تأتي بسبب فساد بعض الأعضاء: «الذين استُنيروا مرة وذاقوا الموهبة السماوية، وصاروا شركاء الروح القدس، وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتي وسقطوا.»[٢٨]

وسقوطهم عرَّفه بطرس الرسول بأنهم «ارتدوا عن الوصية المقدسة»[٢٩]. ويصفهم بولس الرسول بتدقيق: «الذين داسوا ابن الله، وحسبوا دم العهد الذي قُدّسوا به دنساً؛ وازدروا بروح النعمة.»[٣٠]

يقول الكتاب إن مثل هؤلاء يسببون للرب آلاماً مبرِّحة؛ إذ يجددون عليه آلام يوم الصليب: «يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه»[٣١]، ذلك لأنهم يضعون عار الخطية على الجسد المقدس الذي اشتركوا فيه **والذي صار فيهم**؛ فيجعلوا جسد المسيح شريكاً في إثمهم ونجاساتهم «أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاءَ زانيةٍ؟»[٣٢]. لأن أجسادهم بعد أن تكون قد اتحدت بالمسيح تصير أعضاءً في جسده «ألستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح.»[٣٣]

(٢٦) مت ٢٥: ٤٠.
(٢٧) إش ٦٣: ٨و٩.
(٢٨) عب ٦: ٤—٦.
(٢٩) ٢بط ٢: ٢١.
(٣٠) عب ١٠: ٢٩.
(٣١) عب ٦: ٦.
(٣٢) ١كو ٦: ١٥.
(٣٣) ١كو ٦: ١٥.

فإذ هم يستهينون بسيادة الرب، و يدنسون أجسادهم(٣٤)؛ يحسبون الدم الذي قُدّسوا به دنساً(٣٥)!! وليس ذلك فقط بل إذ يرتدُّون علناً(٣٦) و يصنعون الخطية باستهزاء مزدرين بروح النعمة(٣٧)، ليس فقط يصلبون لأنفسهم آبن الله ثانية بل و يقول الكتاب: «و يُشهِّرونه» أي يفضحونه!! إذ يخضعون للشيطان جاعلين الشيطان أفضل من المسيح والروح القدس؛ فيكون عملهم «كمن يعطي القُدْس للكلاب»(٣٨) أو يبيع آبن الله بثلاثين من الفضة! وهم في اقترافهم الخطايا عن تعمُّد، يضعون عارها على الجسد المقدس كما كان على الصليب تماماً، لذلك قيل إنهم «يصلبون لأنفسهم آبن الله ثانية».

ولكن لم يقل الكتاب «إنهم يصلبون آبن الله» فقط، بل يصلبون **«لأنفسهم»** آبن الله، أي أنهم يتحملون وحدهم مسئولية هذا العمل وعقابه كيهوذا، الذي أسلم الجسد للصليب والفضيحة عن عمد؛ لذلك لم يجد مكاناً للتوبة. كذلك تمتنع التوبة والتجديد لمن يستهينون بالجسد والدم والروح «لا يمكن تجديدهم للتوبة»؛ يقول الكتاب: «يأكلون دينونة لأنفسهم.»(٣٩)

لذلك فإن عقابهم يكون أشر من عملهم(٤٠)؛ إذ يقطعهم الرب من جسده متألماً، كما يُقطع الغصن الفاسد من الكرمة بلا رحمة «كل غصن فيَّ لا يأتي بثمر يُنزع»(٤١) ليُلقى في النار.

إذن، فبقدر ما هناك من مسرة وفرح لقلب الرب بسبب تأصُّل الأعضاء المثمرة

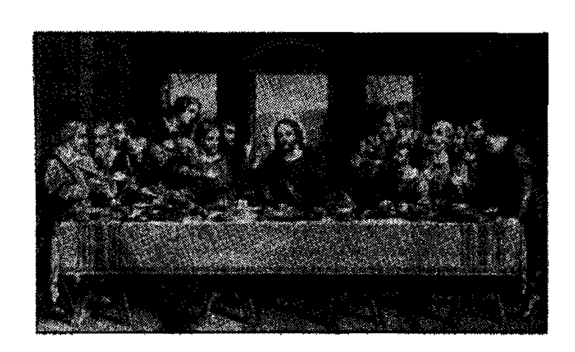
(٣٤) يه ١:٨.
(٣٥) عب ١٠:٢٩.
(٣٦) ٢بط ٢:٢١.
(٣٧) عب ١٠:٢٩.
(٣٨) مت ٧:٦.
(٣٩) ١كو ١١:٢٩.
(٤٠) عب ١٠:٢٩.
(٤١) يو ١٥:٢.

«بهذا يتمجد أبي أن تأتوا بثمر كثير»(٤٢)؛ فهناك أيضاً تجديد لأحزان الصليب يتعرض لها الرب وانعكاسات لذكرى الجلجثة المؤلمة، وصدى أصوات «أصلبُهُ، أصلبُهُ» ترن في أذنه في السماء بسبب المؤمنين المرتدين عن الوصية المقدسة!!

يالها من وحدة كلفته ثمناً باهظاً! و يالها من شركة حمَّلته أثقال خطايا وآلام لا تُحدُّ! و ياله من ثبوت له تكاليفه!!
ياليتنا نكون له أعضاء مسرة!!

أتوسل إليك أيها القارىء أن تصلي من أجلي ومن أجلك، أن تكون شركتنا مع الرب سبب فرح وراحة لقلبه.

أطلبوا عنا أيها الرسل المعتبرون أعمدةً مختارة(٤٣)، و ياأيها القديسون المعتبرون أعضاءً جميلة(٤٤)، من أجلنا نحن المؤمنين الذين انتهت بنا أواخر الدهور، المعتبَرين أعضاءً قبيحة(٤٥) في جسده ليعطينا نعمة أكثر، لنكون سبب كرامة أوفر، فلا نكلف الرب آلاماً جديدة، أو فضيحة بسبب خطية، أو عمل قبيح.



(٤٢) يو ١٥:٨.
(٤٣) غل ٢:٩.
(٤٤) ١كو ١٢:٢٤.
(٤٥) ١كو ١٢:٢٣.

ـ ٣ ـ

كيف تتكون الكنيسة من جسد المسيح

حينما قدمنا في الفصول السابقة، أوضحنا الصور البدائية التي كانت تحمل مثال الكنيسة، والرموز التي كانت تشير إلى الحقائق إشارة كما في لغز. ولكن حينما بلغنا إلى الصليب، وذبيحة ابن الله الحية؛ واجهنا الحقيقة في جوهرها بلا أي تشبيه أو رمز أو واسطة؛ وانتقلت الكنيسة من صور الحق إلى الحق، ومن خيمة وهيكل إلى جسد حي، ومن حجارة ورخام وذهب إلى نفوس مؤمنة وحق وإيمان؛ فوجدنا الكنيسة عبارة عن أعضاء حية، هي المؤمنون الثابتون في شخص المسيح، وهم الذين يكوّنون هيكل العبادة، ورأينا كل عضو في هذا الجسم يؤدي عملاً خاصاً حسب قياس الهبة التي ينالها من رأس الكنيسة أي المسيح، و ينال حياة سرية جديدة بالروح القدس تتعمق نفسه وتثبّته بقوة في الجسم الإلهي غير المنظور.

ليس في الكنيسة أفراد بل أعضاء:

إذن فليتنا نفهم أنه لا يوجد في الكنيسة أفراد، بل أعضاء؛ فكما أن الحجرة المنحوتة لا تصير حجراً في الهيكل بعد البناء بل تصير عموداً أو سوراً أو مذبحاً أو أساساً؛ هكذا في الكنيسة لا يعودون بعد أفراداً مؤمنين بل أنواع خِدَم بأنواع مواهب؛ إذ ينسكب روح الكنيسة في كل عضو فيعطيه مسحة خاصة معيّناً له عمله، ثم يربط بين الأعضاء بالنعمة، و يكمل الواحد بالآخر، و يكمل الجميع بالرأس، أي المسيح؛ كهيكل الجسد العظمي حينما يكسوه اللحم والعصب والجلد،

ثم بنفخة الروح يقوم جسماً حياً؛ هكذا الأعضاء التي كانت ميتة بالخطية ثم دخلها الروح القدس فاكتست إيماناً وحقاً ومعرفة؛ ولكن لكل مؤمن قدرة خاصة ومعرفة وإيماناً يختلف الواحد فيها عن الآخر، كما تختلف العظام في طولها وشكلها وصلابتها وتجاو يفها ونتوءاتها لتقوم بوظيفة معينة، متحدة كل عظمة منها بالأخرى.

تنسيق عمل المواهب هو بناء الكنيسة:

فتنوع المواهب لازم لبناء هيكل الكنيسة كتنوع أشكال العظام في هيكل الجسد، إذ يتكامل المؤمنون الواحد بالآخر كارتفاق العظام بعضها ببعض بإحكام «بمفاصل وربط متآزراً» (٤٦)؛ فتقف الكنيسة متساندة بعضها على بعض كقيام الجسد: «هكذا نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح وأعضاء بعضنا لبعض كل واحد للآخر.» (٤٧)

ـ «فأخرجني روح الرب وأنزلني في وسط البقعة وهي ملآنة عظاماً... كثيرة جداً... **و يابسة جداً**. فقال لي يا ابن آدم أتحيا هذه العظام؟ فقلت: يا سيد الرب أنت تعلم. فقال لي: تنبأ على هذه العظام وقل لها... ها أنذا أُدخل فيكم روحاً فتحيون وأضع عليكم عصباً وأكسيكم لحماً وأبسط عليكم جلداً وأجعل فيكم روحاً فتحيون... **وإذا رَعْشٌ، فتقاربت العظام كل عظم إلى عظمه**، ونظرت وإذا بالعصب واللحم كساها و بُسِط الجلد عليها من فوق... **وهبَّ الروح على هؤلاء القتلى** فحيوا وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جداً جداً.» (٤٨)

---

(٤٦) كو ٢: ١٩. (٤٧) رو ١٢: ٥.

(٤٨) حز ٣٧: ١ ـ ١٠.

لا تيأس:

إن كلمة «**يابسة جداً**» تريح قلبنا جداً جداً حينما نشعر أننا عظام جافة، وأعضاء يابسة مطروحون في بقعة. أو يريد النبي أن يقول: ساقطون في الحمأة ووحل الخطية. ولكن من هذه العظام اليابسة ومن هذه العظام اليابسة جداً قامت الكنيسة وكونت جسمها الحي!!

أيُّ رجاء عظيم لنا في نبوءة حزقيال المنعشة! حقاً تفرح نفوسنا بها بل «تبتهج عظامي» أيضاً. هكذا يتكون جسم الكنيسة: أولاً عظام يابسة، كثيرة و يابسة جداً، ثم روح محيي!!

ولكن يجب أن **تقترب العظام كل عظمة إلى الأخرى**. آه يارب متى ترتعش العظام اليابسة و يقترب المؤمنون بعضهم من بعض لتقوم الكنيسة حية!!

مطابقة:

ولكن لا يمكن أن يهبَّ الروح على هؤلاء القتلى، قتلى الخطية والأنانية والحسد والحقد والغباوة، إلا إذا اكتسوا **لحماً وعَصَباً وجلداً. واللحم** في عرف التشريح هو العضل الذي يهيىء للعضو عمله، وفي عرف الكنيسة هو القدرة الشخصية للعضو المتحصلة من المعرفة والإجتهاد وحفظ الكلمة، أما **العصب** فيراه الطبيب سلك التخاطب بين الرأس والعضو، وتراه الكنيسة عِشْرة المخدع مع الحبيب!؛ أما **الجلد** فهو الجهاز الحساس الواقي والملطِّف الذي يغطي الأعضاء جميعاً و يَهَبُ الجسم رونقاً وجمالاً. هكذا في الروح أيضاً نجد التميز الذي يغطي المعرفة بثوب البهاء ويهيىء حساسية الضمير و يقي المؤمن من السقوط، و يلطف من هذه التجربة، و يكسب الإنسان هيبة ووقاراً!!

أمل:

ثم نشكر الله لأنه أقام جيشاً عظيماً جداً جداً؛ لأن جسم الكنيسة سوف يملأ كل العصور وكل عرض أو طول أو عمق أو ارتفاع، لأنها مملوءة بروح الله وجسد المسيح الذي يملأ الكل في الكل(٤٩)!

تفاعل:

ولكن حينما يثبت العضو في الجسد ويحيا به لا يعود العضو يمثل نفسه فقط بل يمثل الجسد أيضاً، إذ يتأثر به و يؤثر فيه!! أرأيت الجسد كيف ينطرح على الفراش مريضاً بسبب أصبع متورم(٥٠)؟ إذن لم يعد الجسد حراً من الأصبع طالما الأصبع في اليد واليد في الذراع والذراع في الجسد، ولم يعد الأصبع حراً من الجسد طالما يغذيه الدم الآتي من القلب وتحركه الأعصاب المشدودة بالمخ!!

إذن، فقد صار المؤمن كنيسة، له ما لها طالما هو حي فيها، وكذلك الكنيسة أيضاً تستقبل حياة الفرد في جسدها فيصير لها كل ما له؛ لا من حيث القوة والحكمة والروح والغنى فحسب بل والمرض والضعف والعوز والضيق والألم أيضاً(٥١)!!

— «لأنه إن كان عضو واحد يتألم فجميع الأعضاء تتألم معه.»(٥٢)

— «احملوا بعضكم أثقال بعض وهكذا تمموا ناموس المسيح.»(٥٣)

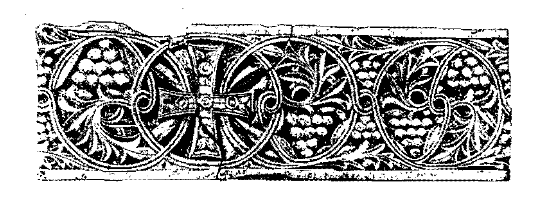
وهكذا تجتمع الأعضاء متآزرة معاً في جسد المسيح؛ ولكن بقوة خفية تعمل فيها

---

(٤٩) أف ١: ٢٣.
(٥٠) ١ كو ١٢: ٢٦.
(٥١) عب ١٣: ٣.
(٥٢) ١ كو ١٢: ٢٦.
(٥٣) غل ٦: ٢.

سراً، كما تعمل الحياة في عصارة الكرمة لتغذي الجذور والساق والفرع والبرعم والورقة متضامنة معاً من أجل الثمر مع اختلاف أشكالها وعملها(٥٤)!!

ولكن حياة الكنيسة ليست كحياة النبات أو البشر؛ تُنظَر وتُلاحَظ في نموات ظاهرة في الجسد الترابي؛ ولكنها حياة إلهية غير منظورة لأنها بالروح القدس.



(٥٤) يو ١٥: ١ــ٨.

ـ ٤ ـ

استعلان عمل جسم الكنيسة السري في الزمن الحاضر

■

ولادة:

ولكن بالرغم من أن حياة الكنيسة غير منظورة، إلا أننا نرى عملها روحياً ــ ونحن نتحققه حينما يلد الروح القدس من بطن الكنيسة (أي المعمودية) أولاداً جدداً(٥٥)؛ يولِّدهم الروح القدس من الجسد الإلهي توليداً، وهم معتَبرون كخليقة جديدة غير جسدانية! «إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة»(٥٦)، «مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية»(٥٧)، «ليس من دم... ولا من مشيئة رجل بل من الله»(٥٨)؛ ولهم سلطان في ذواتهم أن يصيروا أولاداً لله(٥٩) ــ أي حسب إرادتهم ــ إذا هم ثبتوا في الإيمان راسخين(٦٠) ورضعوا اللبن العقلي عديم الغش(٦١)؛ فتتجدد أذهانهم للمعرفة(٦٢) و يتأصلون في الرأس حسب صورة خالقهم(٦٣)!! «وننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح الذي منه كل الجسد مركباً معاً.»(٦٤)

(٥٥) يو ١: ١٣.
(٥٦) ٢كو ٥: ١٧.
(٥٧) ١بط ١: ٢٣.
(٥٨) يو ١: ١٣.
(٥٩) يو ١: ١٢.
(٦٠) كو ١: ٢٣.
(٦١) ١بط ٢: ٢.
(٦٢) كو ٣: ١٠.
(٦٣) كو ٣: ١٠.
(٦٤) أف ٤: ١٥و١٦.

وباتصال المؤمنين بالرأس أي بالمسيح؛ يستمدون المعرفة من مصدر المعرفة والحق؛ المذّخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم [٦٥]؛ وذلك بوساطة عمل الروح القدس الذي قيل عنه أنه يأخذ مما للمسيح ويعطيهم. [٦٦]

فلأن هذه الأعضاء يتصل كلٌّ منها بالرأس أي بالمسيح؛ ثم هي جميعاً تتآلف معاً حسب قياس قوتها وخدمتها، ويقودها المسيح بحكمة كالرأس التي تقود الأعضاء؛ لذلك قيل أن الكنيسة هي جسم المسيح وهو نفسه رأسها!! لا مجرد تشبيه أو رمز إنما حقيقة حيّة؛ لأن المسيح يحيا في كل عضو فعلاً «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» [٦٧]. لذلك فكل عضو يقوم بعمل خاص مكملاً العمل الذي بدأه المسيح على الصليب؛ وليس العمل فقط بل والآلام أيضاً «الآن أفرح في آلامي لأجلكم، **وأكمّل نقائص شدائد المسيح** في جسمي لأجل جسده الذي هو الكنيسة.» [٦٨]

استمرار وتكميل رسالة المسيح:

وبذلك فإن عمل الأعضاء في الكنيسة بإرشاد الرأس أي المسيح هو في الواقع استمرار وتكامل وإكمال لرسالة المسيح وكرازته وتعاليمه وتعبه وآلامه، بل وغاية تجسده أيضاً «لأجل تكميل القديسين لعمل **الخدمة لبنيان جسد المسيح**، إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله، إلى إنسان كامل، إلى قياس **قامة ملء المسيح**... ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح الذي منه كل الجسد مركباً معاً ومقترناً بمؤازرة» [٦٩]. أي أن جسد المسيح لا زال يُكمّل بنا عمله!!

(٦٥) كو ٢: ٣.
(٦٦) يو ١٦: ١٤.
(٦٧) غل ٢: ٢٠.
(٦٨) كو ١: ٢٤.
(٦٩) أف ٤: ١٢ـــ ١٦.

ـــ ٥ ـــ

امتداد جسم الكنيسة

(الكنيسة تشمل الماضي والمستقبل)

■

ولأن الروح القدس هو حياة الكنيسة ـــ جسد المسيح؛ لذلك فالكنيسة تمتد في الماضي وتمتد في المستقبل أيضاً كما هي كائنة تماماً في الحاضر، لأن عمل الروح القدس غير محدود، فهي تشمل الأعضاء الذين انتقلوا المعتَبَرين جزءَ الكنيسة السمائي المنتصر أو كما يسميه بولس الرسول «سحابة من الشهود» [٧٠] التي تظللنا، وهم أعضاء عاملون في جسم الكنيسة وعملهم الآن يكاد ينحصر في الصلاة باستمرار من أجل جزء الكنيسة المجاهد.

لذلك فالكنيسة غير محصورة في مكان ولا في زمان. فهي كائنة على الأرض وهي كائنة في السماء، كائنة في الحاضر وكائنة منذ بدء الخليقة. لأن عمل المسيح الفدائي امتد في الدهور السالفة بروحه الأزلي وخلّص كل الذين قبلوا المواعيد. [٧١]

فأعضاؤها كثيرون جداً «جَمْع كثير لم يستطع أحد أن يعده من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة» [٧٢]، وهم متنوعو المواهب كما يليق بجسد متناسق حسب حكمة الرأس «رسل وأنبياء ومبشرون ورعاة ومعلمون... لكل واحد أُعطيت النعمة حسب قياس هبة المسيح.» [٧٣]

(٧٠) عب ١٢: ١.
(٧١) ١بط ٣: ١٩و٢٠؛ وعب ١١: ١٣و١٦.
(٧٢) رؤ ٧: ٩.
(٧٣) أف ٤: ١١و٧.

وسوف يستمر عمل الأعضاء بلا توقف؛ سواء الذين انتقلوا وكوّنوا جزء الكنيسة السمائي أم الذين لا زالوا تحت ثقل الجهاد والضيق؛ إلى غاية واحدة ونهاية أكيدة «إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله.» (٧٤)

ولا فرق على الإطلاق بين أعضاء رأوا المسيح بالجسد وأعضاء لم يروه، أو بين أعضاء سبقوا مجيء البار وأعضاء انتهت بهم أواخر الدهور، لأن المسيح استُعلن للجميع بطرق مختلفة. وهو «كائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين.» (٧٥)

فالكنيسة كائنة اليوم كما كانت أمساً؛ وقبل إبراهيم هي كائنة أيضاً في شخص المسيح(٧٦) الذي يملأ الكل وفي الكل، نور العالم الذي لم ينطفىء قط، الكائن منذ البدء في العالم، والذي كُوِّن العالم به(٧٧)!

وهو الحق الذي غشى كل قلب، وسكن كل ضمير في صورة ما، واستُعلن للحكماء استعلاناً، وتشخَّصه الفلاسفة تشخيصاً.

وهو الحياة التي أقامت العظام اليابسة، وهو الروح التي استنشقها الإنسان الساقط فقام وعاش إلى الأبد!

ما أعجب الكنيسة حقاً! إنها بأعضائها قامة ملء المسيح، فهي بالمعلمين: عقل كبير، وبالحكماء والملهمين: حكمة مذخرة، وبالمستنيرين بالروح بالكلمة: معرفة عميقة ممتدة، وبالخدام الباذلين: خدمة حارة ملتهبة، وبالعابدين المنقطعين: رفق وصلاة وحب! لأن الروح يسكب في مجموعها حياة مكملة تكمل نهائياً بالرأس المتصل بها الذي يقودها إلى حياة أبدية مع الآب!

---

(٧٤) أف ٤: ١٣.

(٧٥) رو ٩: ٥.

(٧٦) يو ٨: ٥٨.

(٧٧) يو ١: ١٠.

إن الكنيسة صورة رائعة لإمكانيات الإنسان حينما يرتفع فوق ذاته، فينسكب فيه الروح و يقوده المسيح!!

وهي المجتمع الإنساني الموحد المنسجم حسب قصد الله حينما يأخذ صورة خالقه(٧٨) أو حينما يعود إلى صورته الأولى!!

ولكن ستظل الكنيسة ناقصة عن بلوغ النموذج الأمثل إلى أن تجمع في أحضانها جميع أجناس الإنسان(٧٩)! لأن الكنيسة هي تعبير واقعي عن إمكانيات المسيح في البشر وقدرته السرمدية ولاهوته(٨٠)! فهل يقصر ابن الإنسان عن أن يجمع الإنسان؟ أو هل يعجز الراعي الصالح أن يجمع شتات القطيع(٨١)؟ أم يضعف الصليب الذي رُفع عليه الرب عن أن يجذب إليه الجميع(٨٢)؟



---

(٧٨) كو ٣: ١٠.

(٧٩) رو ١١: ٢٥.

(٨٠) رو ١: ٢٠.

(٨١) يو ١٠: ١٦.

(٨٢) يو ١٢: ٣٢.

— ٦ —

وحدة جسم الكنيسة

•■•

حينما طفنا بالهيكل من داخل ومن خارج ألمحنا إلى الترابط بين أجزائه، والوحدة الرمزية التي نستشفها من تعدد أروقته، ومن اختلاف تجزيئاته. واسترعتنا صفائح الذهب التي تغشى جدرانه؛ وقلنا إنها تشير إلى الوحدة الإيمانية التي يجتمع فيها المؤمنون.

وحدة روح:

وحينما نواجه الكنيسة في الحاضر لا نكون بعد تجاه وحدة رمزية أو وحدة فلسفية عمياء، بل وحدة حية، لأن روح الكنيسة يسري في الأعضاء، كما نفخ الرب روحه في تلاميذه فصاروا كنيسة (٨٣)، فيَلبَس العضو قوة كنسية تملأه بالإيمان والحب والغيرة.

ولكن كما يسري روح الكنيسة في العضو، كذلك تسري حياة العضو في جسد الكنيسة، أي في أعضائها، فيخصبها بمواهبه.

وحدة مواهب:

وشمول الكنيسة للمؤمنين لا ينصبُّ على معنى الجمع العددي بينها، وإنما يشمل

(٨٣) يو ٢٠: ٢٢.

جمع كفاءاتهم الإيمانية وضم مواهبهم وتنسيقها وإدخار شهاداتهم العديدة؛ إنْ بالدم أو الآلام أو التعذيب أو الجوع أو العري أو الحرمان، تحفظها في قلبها وتذخرها لأولادها كمنبع للوحدة يستوعب منه كل عضو جديد بقدر ما يستطيع. فإيمان التلاميذ واستنارة الرسل وغيرة الشهداء وحب القديسين لا تزال تنبض في قلوب المؤمنين الذين يتحدون بقلب الكنيسة!! وهذه الذخيرة المحفوظة لنا في قلب الكنيسة هي التي تسري فينا فتشكلنا على صورة آبائنا كما يرث الإبن صورة أبيه.

وحدة انسجام وتآلف:

ولكي ندرك معنى الوحدة إدراكاً صحيحاً، يجب أن نستثني فكرة رفع الفوارق بين الأعضاء، والكف عن أية محاولة لملاشاة التنوع والتمايز والإختصاص التي هي السمة الضرورية لتكوين الوحدات الكاملة. لأن كمال الوحدة وجمالها هما في التآلف بين أجزائها المتميزة والإنسجام بين المتنوعات فيها والتعاون في الإختصاصات المختلفة! لا بواقع الضبط والربط ولكن من واقع الحب والإنسجام.

والوحدة البشرية التي تفقد حرية التآلف بين عناصر مكوناتها والإحتفاظ بخواص الأجزاء، بل والعمل على إنمائها أيضاً، لا تصير وحدة حية بل سبيكة بشرية فاقدة تماماً لكل خواص مكوناتها!!

ضرورة الإمتيازات:

وربما يتراءى للقارىء أن هذه أمور بديهية؛ ولكن أنظر كم كلف هذا المبدأ بولس الرسول من جهد وعناء! كم مرة احتدَّت روحه فيه وكتب معلِّماً أن الكنيسة يجب أن تكون أعضاءً متمايزة (٨٤)؟ لا كأنه يقرر حقيقة واقعية فحسب

(٨٤) ١ كو ١٢: ٤ ــ ٣٠.

بل و يستهدف أيضاً إلى رفع الغيرة والتحزب والتعالي من المؤمنين؛ الأمور التي تعاني منها الكنيسة في الوقت الحاضر بشدة، حتى أصبحت تنذر بانكسار الوحدة وانهزامها تحت ضغط الغيرة والتحزب والتعالي.

ولكن هل يمكن أن يفهم القارىء أنه لا يجب أن يكون في الجسد الواحد غيرة بين الأعضاء؟ بل يجب أن يكون هناك تسليم بوجود التمايز وتنوع الإختصاص! فالأعضاء يجب أن تسهر جميعاً للإحتفاظ بشكل كل عضو ووظيفته ومؤهلاته.

إن اليد التي تحافظ على العين لتبق عيناً جديرٌ بها أن تسمى يداً! كذلك المؤمن الذي يحافظ بل ويجاهد و يعمل لدوام مواهب أخيه الروحية في كنيسة الله جسد المسيح جدير حقاً أن يُدعى مؤمناً.

والعين التي لا ترضى بإيذاء اليد أو حرمانها من العمل والخدمة تستوجب الكرامة! وكذلك المؤمن الذي لا يرضى بإيذاء أخ ضعيف في الكنيسة!

ولكن كم هو مخجل لنا أن نتكلم عن الإيذاء والضرر والغيرة والحسد بين أعضاء مؤمنة في جسم المسيح الذي أحبنا جميعاً ونحن بعد خطاة وأسلم جسده للصليب من أجلنا!؟ أليس مخجلاً أن نتكلم عن بداية أركان المعرفة في تكوين جسم الكنيسة، مع أنه كان واجباً علينا بسبب طول الزمان(٨٥) وشكل الخدمة الذي لبسناه والطريق الضيق الذي اخترناه أن نتكلم الآن عن الثمر المتكاثر لحساب الرأس؟؟

ولكن إن كان الكلام عن الأركان الضعيفة يخجلنا فكم تكون الأعمال التي

(٨٥) عب ٥:١٢.

نقترفها في جسم الكنيسة! وكأن لا رأس لها ينظر و يتألم؟؟ إني أخاف لئلا يكون المسيح قد صُلب من أجلنا باطلاً!! والكنيسة تمخضت بنا فولدتنا نغولاً لا بنين(٨٦)!!

ولكن ماذا نقول؛ إن كل عضو لا يتمسك بالرأس فإنه ينفصل حتماً عن الجسد فيبتدىء يغار ويحسد ويحقد و يؤذي الأعضاء: «منتفخاً باطلاً من قِبَل ذهنه الجسدي وغير متمسك بالرأس الذي منه كل الجسد... ينمو نمواً من الله»(٨٧)!

إذن، فأساس الوحدة في الكنيسة هي شركة صحيحة دائمة بين المؤمن والمسيح، شركة تنمو كل يوم فتُنمي وحدة الكنيسة؛ ثم تقديس مواهب كل فرد واحترام حقوقه في الكنيسة وفي حرية الإيمان، بل والعمل على تنمية كفاءة كل عضو في جسم المسيح.

يا لتعاسة الكنيسة التي تبتدىء العين فيها تستعلي على اليدين أو الرجلين(٨٨)، فيقول الكبير للصغير أنت صغير «اجلس هنا تحت موطىء قدمي»(٨٩)، والغني يزدري بالفقير و يقول له «قف أنت هناك»!!

متى يا ترى تعرف الكنيسة أن المسيح يدعو الفقراء والمساكين إخوة له(٩٠)؟ إذ يرى نفسه وشخصه فيهم فيعمل كذلك الرؤساء في الكنيسة.

إلى متى يارب لا تتكلم في قلوب الرؤساء عن خطية المحاباة بالوجوه والتحيز للأشخاص لا للكفاءات؟؟

(٨٦) عب ١٢:٨.
(٨٧) كو ٢:١٨و١٩.
(٨٨) ١كو ١٢:٢١.
(٨٩) يع ٢:٣.
(٩٠) مت ٢٥:٤٠.

إن جسد الكنيسة ابتدأت تتخلف أعضاؤه المختصة عن عملها، تحت ضغط الخوف والجبن والمحاباة والظلم والرشوة، فصارت الرجلان تقومان بأعمال اليدين إن لم يكن العينين!! لأن الرجلين تذمرتا ولم ترضيا بما قُسم لهما من موهبة فارتأتا فوق ما ينبغي أن ترتئيا. (٩١)

والأعضاء التي هي في زمان التوبة وجهل المعرفة جلست فجأة على كراسي التعليم.

وجسد المسيح مهدَّد أن يصير كله رجلين.

والكنيسة التي لا تعرف اختصاصات أعضائها تنفك وحدتها فتسير بلا خطة ولا غاية، وعملها الذي تعمله اليوم تهدمه بيدها غداً.

■■■



(٩١) رو ١٢: ٣.

الباب الثالث

شخصية الكنيسة

تمهـــيد

فكرة مبدئية

شخصية الكنيسة وجامعيتها (*) الوحيدة

■

لـقـد درجـنـا على اعتبار أن الكنيسة هي جماعة المؤمنين . و يبدو أن فكرتنا عن الـكـنيسة ، أو فكرة بعض منا على الأقل ، تكاد تقتصر على تصوُّر مجموعة الأشخاص التي نشاهدها في أيام الآحاد والأعياد ، مع ما تشمله من خليط من وجوه مألوفة وغير مألوفة ، وأسماء معروفة وغير معروفة .

و يـالـشـدة الأسـف فـإن هـذا الـفـهم القاصر ، ضيَّع علينا تعرُّفنا على شخصية الكنيسة الحية ، وتقبُّلنا لروحها فينا ، وفوَّت علينا تفهُّم موقفنا داخل مجال شخصيتها الـفـعـال ؛ فـعـشـنـا فاقدي الإحساس بشخصية الكنيسة و بالتالي غير متجاو بين مع روحها وفكرها وتراثها وتعاليمها .

ذاتية الكنيسة :

فـالـكـنـيـسـة لـيـست هي مجرد مجموعة مؤمنين ، بل هي جسم روحي له ذاتيته الخـاصـة ، ولـه طـبـيـعـته الخاصة ، وله موهبته الخاصة ، بل له سلطانه الشخصي مع مـمـيـزات خـاصـة ، تختـلـف عما للفرد أو العضو فيها ، وتختلف عن كل ما للأفراد أو الأعضاء مجتمعة معاً !

(*) جامعية الكنيسة هي إحدى علاماتها الأربع ، لأن الكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية .

إن الكنيسة في تكوينها لا تشمل الأعضاء الذين فيها فحسب؛ بل تشمل المسيح بشخصه الحي وجسده ودمه، وهو المعتبر رأسها!! وتشمل الروح القدس بشخصه المحيي العامل في المعمودية، وفي التثبيت، وفي سائر الأسرار المقدسة والمواهب، وهو المعتَبَر روحها.

خصائص جديدة:

وحتى في إجتماع المؤمنين معاً تنشأ خصائص روحية جديدة، إذ ليس هو مجرد إجتماع بشري، بل ألفة روحانية وانسجام لغايات أسمى من المصالح الفردية، يؤثر فيها الفرد على الفرد؛ فتظهر مشاعر، وتنشأ تأثرات جديدة كان لا يمكن أن تُستحدث في نطاق ضمائر الأفراد من ذاتها.

بل إن التأثيرات التي يُستهدف لها المؤمنون وهم مجتمعون معاً ومتحدون، لتختلف في قوتها ونزعتها عن الأثر الذي يُستهدف له كلٌّ منهم على حدة.

هذا بجوار ما تشمله الكنيسة من الأثر العجيب الذي يكمل هيبتها وسرٍّ يتها بانضمام أرواح ونفوس الشهداء والرسل والأنبياء والقديسين الذين انتقلوا.[1]

شخصية أُم:

كل هذه العوامل معاً تضفي على الكنيسة شخصية خاصة وتهبها مجالاً روحياً قوياً. غير أن الكنيسة من جهتها ترتبط بالفرد ارتباط الأم بإبنها وأشد: «هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ٱبن بطنها، حتى هؤلاء يَنْسَين وأنا لا أنساكِ»[2]؛ لأنها هي التي ولدت أعضاءها!

(١) عب ١٢: ١.

(٢) إش ٤٩: ١٥.

فالكنيسة لا مثيل لها في المجتمعات البشرية قاطبة، دينية كانت أو غير دينية. فكل إجتماع أو مجتمع إنما يقوم حول شخص أو حول مبدأ أو عقيدة، أما الكنيسة فأُمٌّ مع أولادها أعضاء في جسد واحد!

لذلك، فالكنيسة لها شخصية إذا أحسها الإنسان وتعمقها على حقيقتها، فإنها تنفخ فيه روحها وتطبع عليه سماتها وتهبه سلطانها وكلمة إيمانها وشهادتها فيحبها و يتعشقها و يتحد بها؛ كما يتحد العريس بالعروس: «لأنه كما يتزوج الشاب عذراء يتزوجك بنوكِ»[3]، فيمتص شخصيتها و يعود فيعكسها على المجتمع حوله بإيمانه وسلوكه.

المسيح منظور ومستعلَن في الكنيسة:

وإن كان عسيراً عليك أن ترى شخص المسيح كاملاً في إنسان ما؛ إلا أنك يمكن أن تراه مكمَّلاً في الكنيسة، إذ ترى كل عضو فيها يعكس صفة أو هبة على قدر ما وُهب؛ أما في الأعضاء مجتمعين فتعاين شبه الرب[4]! تراه في العلائق التي يرتبط بها هؤلاء الأعضاء معاً، ترى قوة المسيح ومعجزاته كما ترى دموعه وآلامه، ترى الحق وترى دائماً الصليب وراءه!!

فحينما تلقي بنظرك على تاريخ الكنيسة المجيد والرهيب أيضاً، تستطيع بسهولة أن تلحظ شخصية المسيح المنطبعة على صفحاتها! إذ ترى يهوذا في كل عصر يخون المحبة ويخون اللقمة، وترى في كل جيل حنان وزميله قيافا يلفقان التهمة و يستحضران شهود الزور! ترى الكتبة والفريسيين دائماً يصطادون المسيح بكلمة!! وأخيراً ترى بيلاطس يغسل يديه ثم يأمر بالصلْب.

(٣) إش ٦٢: ٥.

(٤) عدد ١٢: ٨، رو ٨: ٢٩.

قتلوا الكنيسة مراراً؛ وفي كل مرة كانت تُساق إلى الذبح ممثَّلة في أبنائها الأبرياء ومعلمي الحق. إن شخصية المسيح لم تفارقها قط، فهو حي فيها، مضطهَد على الدوام؛ مصلوب في كل من يشهد لها؛ لذلك حينما نقول إن الكنيسة شخصية متميزة عن شخصيات أعضائها؛ فإنما نقصد فعلاً أنها شخصية كاملة تستمد مقوماتها وعناصرها من شخص المسيح الحي ومن عمل الروح القدس المحيي.

أما جسمها ــ أي كيانها العضوي ــ الذي يتكون من جميع الذين وُلدوا في معموديتها وإتحدوا في جسدها وثبتوا في إيمانها وخلصوا؛ فهو جسم روحاني فعلاً، له خصائص جديدة غير موجودة في أي فرد من الأفراد على حدة. هذه الخصائص ليست هي مجموع خصائص أفرادها أيضاً، لأن فاعلية الأعضاء بعضهم ببعض وإتحادهم معاً في الشعور والوجدان والإيمان ينشيء خصائص جديدة غير موجودة أصلاً في الأعضاء وهم فرادى كما سبق وقلنا.

شخصية فائقة:

ولكن الكنيسة تمتاز بعامل مميز آخر في شخصيتها فريد في نوعه، هو أنه بالرغم من إتحاد أعضائها إتحاداً شبَّهه المسيح بإتحاد الأغصان معاً في الكرمة؛ إلا أنها لا تفقد مميزات أعضائها ومواهبهم وخواصهم الفردية بالإضافة إلى ما اكتسبته من إتحادهم وهم مجتمعون!!

فهي تمتاز عن السبائك المعدنية كالبرونز مثلاً، الذي تتكون سبيكته من نحاس وقصدير والذي تحمل سبيكته بعد الإتحاد صفات جديدة كانت غير موجودة في كل من النحاس والقصدير قبلاً، لكنها (أي السبيكة البرونزية) لا تحمل أية صفة من صفات النحاس أو القصدير إذ تفقدهما تماماً فلا تجد فيها أي أثر للنحاس أو القصدير.

أما في الكنيسة فتجد الصفات الجديدة الناتجة من إتحاد الأعضاء، كما تجد معها أيضاً صفات وخواص كلِّ عضو قائماً بمفرده لم تطغَ عليه الكنيسة ولم يُفقده الإتحاد شيئاً، بل على العكس نجد أن خبرات وخواص ومواهب كل عضو تنمو وتزداد وتخصب بسبب إتحاده في الكنيسة!

كذلك فالكنيسة تمتاز في خواص تكوينها عن أجسام النبات والحيوان التي تتكون من خلايا حية، فنجد للجسم النباتى أو الحيواني خواص جديدة غير خواص الخلية، أي يكون للنبات والحيوان خواصٌ غير خواص خلاياه التي يتكون منها، أما خواص ألوف وملايين الخلايا فتندمج معاً لتعطي صفات عليا عامة للجسم وتتلاشى هي في سبيل هذه الصفات العليا التي للنبات أو الحيوان. ولكننا نجد أن الكنيسة تحتفظ بخواص كل أفرادها بجوار خواصها العليا التي اكتسبتها من إتحادهم في جسمها!!

الكنيسة ليست مجتمعاً:

كذلك أيضاً فالكنيسة كما سبق وقلنا تمتاز عن أي مجتمع من مجتمعات الأديان الأخرى، أو أي مجتمع بشري على وجه العموم سواء كان ذا هدف إجتماعي أو سياسي؛ إذ أن هذه المجتمعات لا تعدو أن تكون حول مبدأ أو غاية أو شخص ما سواء أكان نبياً أو فيلسوفاً أو زعيماً ينجذب إليه الأفراد و يؤمنون به؛ ولكن يظل المبدأ أو الغاية أو هذا الشخص منفصلاً عن كيان الأفراد إذ لا يتعدى الإيمان به قبوله فكرياً والتأثر به سلوكياً فقط.

الإيمان بالكنيسة فعل روحي وليس اقتناعاً عقلياً:

أما في الكنيسة فالمبدأ فيها: إيمان حي، والغاية: خلاص حي، والشخص الذي أسسها بدمه: شخص إلهي حي؛ فإذا انجذب إنسان ما إلى الكنيسة فإنه يقبل

الإيمان لا قبول النطق أو التفكير أو في القلب فقط، وإنما يحل الإيمان في داخله، لأن حيوية الإيمان ناتجة من عمل الروح القدس، وهو شخص حي إلهي غير منظور؛ لذلك يتحد الإيمان بالإنسان و يتحد الإنسان بالإيمان؛ فينال الخلاص الحي بدم المسيح الحي. أي حينما يتحد الفرد بالإيمان يتحد بالدم. أي كل من يؤمن يخلص!!

إذن، يكون المسيح قد حلَّ بشخصه في الإنسان «ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم» (٥). وإذ يتحد كل فرد بالمسيح بالإيمان بالروح القدس للخلاص يصير الفرد وحدة حية مع المسيح «من التصق بالرب فهو روح واحد.» (٦)

ولكن هذا الإتحاد لا يمكن أن يتم بين الفرد والمسيح إلا بواسطة ولادته الجديدة من بطن المعمودية في الكنيسة؛ وهكذا يتم إتحاد آخر بجسم الكنيسة أي المؤمنين.

جامعية الكنيسة:

وبذلك صارت الكنيسة بالضرورة جامعة وليست مجتمعاً، فأعضاؤها لا يجتمعون فيها وإنما يجتمعون بها، وجامعية الكنيسة تشير إلى مقدرتها على الولادة، أو بالحري إلى خصبها ونمائها ثم امتدادها؛ وهي لا يمكن أن تمتد لتصير جامعة إلا بقدرتها المتجددة على الولادة؛ وهي لا تستطيع أن تلد إلا إذا كانت تستطيع أن تأتي بأولاد إلى معموديتها، أي يكون لها قدرة على الكرازة. فجامعية الكنيسة قدرة على التلمذة، وقدرة على الكرازة، وقدرة على التعميد!!

واحدية الكنيسة:

وبينما نجد أن كل فرد يستطيع أن يتحد بشخص المسيح فيكون مع المسيح وحدة

(٥) أف ٣:١٧.
(٦) ١كو٦:١٧.

واحدة صحيحة، نجد أن الفرد لا يستطيع أن يتحد بالكنيسة دون أن يتحد بأعضائها الأحياء فيها. فالإتحاد بالكنيسة هو قبول عضوية حية فيها، والعضوية وحدة أعضاء بالضرورة؛ لذلك نجد أن الأعضاء في الكنيسة وحدة مؤتلفة.

إذن، فجامعية الكنيسة واحدة وحيدة، أي وحدة كاملة صحيحة، ليس من جهة شكلها أو اسمها أو كصفة جامدة، وإنما من جهة عمل جوهرها أي فعل جسمها وقدرته على التوحيد. إذ أن طبيعة الكنيسة كطبيعة المسيح قادرة أن تجعل الإثنين واحداً(٧) والمختلفين ذوي شكل واحد. (٨)
فالكنيسة جامعة، وإنما جامعيتها متحدة في جسم حي كوحدة لا نظير لها بين المجتمعات.

الفرد وحدة حية في الكنيسة:

وليس هذا فقط بل نجد أن كل فرد فيها وحدة حية كذلك؛ له حريته وفرديته المستمرة وخواصه ووجوده المستقل؛ وليس هو مجرد خلية في جسم أو لبنة في بناء إجتماعي.

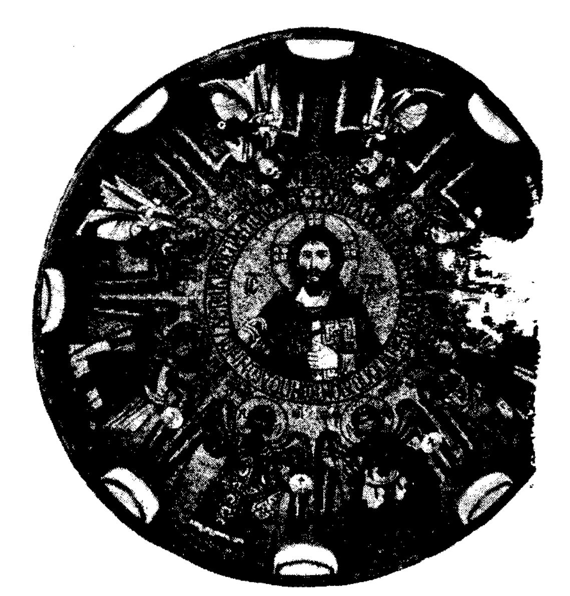
لذلك، فإن الكنيسة تعتبر شخصية فذة فريدة في نوعها، كل عضو فيها هو في حقيقته كنيسة، والكنيسة مجتمعة هي المسيح بجسده وشخصه!!

ونحن لو تعمقنا سر الكنيسة بالروح كما ستُستعلن يوماً، لوجدناها أعظم مجتمع إنساني في الوجود، تشمل في وحدتها — أي في جسمها الحي — أعظم عدد بشري لا يمكن للعقل أن يتصوره، فيه جميع العناصر والأجناس البشرية(٩)، ويحوي كل

(٧) أف ٢:١٥.
(٨) المقصود هو شكل المسيح.
(٩) رؤ٧:٩.

أنواع الأمزجة والأخلاق والقامات البشرية؛ في وحدة واحدة منسجمة متعاونة متآلفة كأعضاء، تختلف كل الإختلاف عن بعضها وتنسجم كل الإنسجام في عملها(١٠)!!

أو بعبارة جامعة شاملة، نستطيع أن نتعمق الكنيسة فنقول: حينما تكمل الكنيسة وحينما تُستعلن في مجدها وبهائها، سوف نرى فيها الإنسان!! الإنسان الذي أراد الله أن يخلقه إنساناً فعجز هذا الإنسان أن يوفي قصد الله من الإنسان؛ فتركه الله يتفتت إلى هذا العدد الهائل من الأناسي (تصغير إنسان) أو الناس ليركِّب منهم إنساناً كاملاً كقصده(١١)، هي الكنيسة، أو بالحري هي جسد المسيح الذي سيكون المسيح فيه رأساً لذلك الإنسان!!



(١٠) ١كو١٢: ٤ـ٣٠.
(١١) أف ٤: ١٣.

شخصية الكنيسة فوق الزمان

١ ـ ماضٍ حيٌّ...

الماضي حيٌّ بالنسبة للكنيسة، لأن أعضاءها الأوائل أحياء، لهم وجود وعمل في جسم الكنيسة، سحابة شهود محيطة بها. (١)

فكل مجتمع ديني آخر أو إجتماعي أو سياسي لا يمكن أن يدَّعي حيوية ماضيه، فالماضي بالنسبة له تاريخٌ يسجِّل حوادث حدثت وانتهت، وأشخاصاً عاشوا وماتوا، ولا يحمل التاريخ لهم إلا الذكرى.

أما الكنيسة فماضيها حاضرٌ وحيٌّ، لا ينتهي ولا يموت بحوادثه وأشخاصه؛ لأن المسيح الذي أوجدها ليس شخصية تاريخية بل هو إله فوق الزمن؛ وهو لم يكوِّنها من أشياء تفنى أو تتغير بل كوَّنها من جسده الإلهي الذي أعطاه خبزاً لحياة أبدية(٢) لكل من يؤمن و يأكله، فيصير عضواً في جسده غير المحدود الذي هو الكنيسة ليحيا إلى الأبد؛ حتى ولو مات، فإنه سيظل حياً بجسد المسيح الذي فيه في السماء!!

وليس الأشخاص فقط يحيون ولا يموتون، بل والكلام الذي تكلم به المسيح وجعله أساس الإيمان والخلاص هو كلام حي أيضاً، فيه روح وفيه حياة(٣)؛ والسماء والأرض تزولان لأنها أمور مادية مخلوقة، أما كلامه فلا يزول لأنه كلام

(١) عب ١٢: ١.
(٢) يو ٦: ٥٠و٥١.
(٣) يو ٦: ٦٣.

الحياة الأبدية، لا يتغير بالزمن لأنه حق ولا يصير ماضٍ قط لأنه روح !!

والأعضاء الذين ماتوا لا يفصلهم الموت عن جسم الكنيسة، وإنما يتغير نوع عملهم فيها فقط، فبدل أن كانوا يخدمون بالجسد هم يخدمون الآن بالروح، وظهور موسى وإيليا على الجبل مع المسيح وحديثهما مع الرب عن خروجه الذي كان عتيداً أن يكمله في أورشليم (٤) مثل واضح على بقاء أعضاء الكنيسة أحياءً فيها يخدمون، كلٌّ في موهبته لتكميل الخدمة، و يسهرون على كلمة الرب و يتحققون أنها حية وأنه يحييها في وسط السنين لوفاء وعده، و يستخدمهم إذا لزم الأمر أحياناً بأن يظهروا على مسرح الحياة الأرضية علانية لتكميل رسالة خاصة. (٥)

وهكذا نرى أن ماضي الكنيسة ليس كماضي الناس الذي يذهب ولا يعود، وحوادثهم التي تحدث وتنتهي فتصير نَسْياً وقبض الريح؛ بل هو ماضٍ لا يذهب منه شيء و يبقى كما هو؛ لذلك نسمع الكنيسة وهي تهتف بصوت أعضائها: «كما كان، كذلك يكون، من جيل إلى جيل، وإلى دهر الداهرين آمين.» (٦)

والذين عاشوا في الدهور السالفة يعيشون الآن فيها، يعملون في محيط أوسع: «فقال له نِعِمَّا أيها العبد الصالح، لأنك كنت أميناً في القليل فليكن لك سلطان على عشر مدن» (٧). ومحيطهم هذا، يشمل المنظور وغير المنظور والسماء والأرض أحياناً.

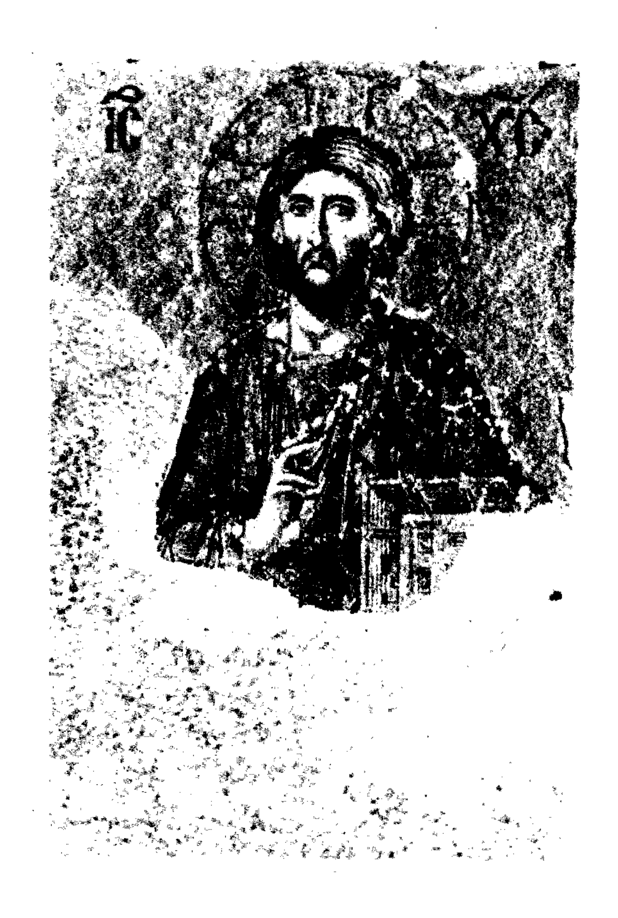
والمسيح نفسه رأس الكنيسة هو هو أمسٌ واليوم وإلى الأبد، يدبر الأعضاء

(٤) لو ٩: ٣١.

(٥) من ذلك ظهور أرواح القديسين والشهداء والمعونات العظيمة التي يقدمونها للمستغيثين بهم.

(٦) القداس الإلهي. (٧) لو ١٩: ١٧.

الأولى والأعضاء الجدد معاً، على منهج ونموذج واحد، حسب الخطة والمشورة الأزلية ليُكمِّل بجميع الأعضاء عملاً واحداً خالداً (٨) !!



(٨) أف ٤: ١٢ و١٣.

٢ ــ حاضـرٌ خـالد

الزمان في الكنيسة حوادث خالدة:

فالكنيسة لا تنسلخ عن ماضيها قط فهي تكمّل اليوم ما عملته بالأمس، وكلُّ يوم يمضي عليها يتحول فيها إلى جزء حي خالد؛ أي أن الزمن هو الذي ينسلخ عن نفسه فيها متحوّلاً إلى حوادث خالدة!! إلى أن تبلغ يوماً «إلى قياس قامة ملء المسيح.» (٩)

الكنيسة تسعى لبلوغ قامة ملء المسيح:

(أ) وحدة إيمان ومعرفة:

وهذا معناه أن الأعضاء أخيراً وفي **مجموع تنوُّع علمهم وتنوع معرفتهم ودرجات إيمانهم ومواهبهم**، يبلغون إلى ما أكمله المسيح من أجل الإنسان «إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله.» (٩)

(ب) وحدة عمل وخدمة وبنيان:

و يصيرون كذلك من حيث عملهم وقدرتهم وخدمتهم مطابقين تماماً **لأوصاف عمل المسيح وخدمته** «لبنيان جسد المسيح.» (٩)

و يبلغون في مجموعهم الأخير إلى هيئة الإنسان السوي الكامل؛ لا في شخص واحد وإنما في مجموعهم الكلي، فيكملون بصفاتهم المتنوعة القصد الكامل الذي أراده الله تماماً من خِلقة الإنسان «إلى إنسان كامل.» (٩)

(٩) اقرأ أف ٤: ١٢ــ١٣.

(ج) وحدة خدمة القداسة:

... وإلى أن يصيروا مكمِّلين لحدود القداسة المفروضة على الإنسان الكامل، والتي عجزت البشرية عن تكميلها فرادى، وذلك بمجموع سيرتهم وسلوكهم وتقديم واجبات الخدمة العبادية لله بجميع أنواعها الحسنة؛ كل واحد على قدر موهبته «لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة.» (٩)

النهاية:

... وإلى أن يكمل هذا كله، تكون الكنيسة قد بلغت «إلى قامة ملء المسيح»، وتكون قد أكملت رسالتها بتكميل قصد الله فيها فتنتهي رسالة الزمان بالنسبة لها.

وهكذا يتضح أن الكنيسة تكمل كل يوم جزءاً من شكلها الكامل بعمل أعضائها: في علم، في معرفة، في إيمان، في خدمة، في قداسة، في عبادة، إلى أن يكمل شكلها. وشكلها الكامل هو المسيح: «ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح.» (١٠)

ملء:

لذلك فكل يوم يعبر على الكنيسة يتحول فيها ذلك اليوم و ينسلخ من صفته الزمنية، بواسطة عمل الأعضاء الروحيين، إلى ملء إلهي ونمو لكمال الخلود! إلى أن يكمل الزمان، حينئذ تنسلخ الكنيسة نهائياً عن الزمان لتحيا في الخلود! في ملء المسيح!!

قول خطأ:

لذلك كم يكون القول الذي نسمعه أحياناً ممن ينادون بعودة الكنيسة إلى

(٩) اقرأ أف ٤: ١٢ــ١٣.

(١٠) أف ٤: ١٥.

عصورها الأولى مستحيلاً و بعيداً عن الصواب؟ لأن عصور الكنيسة الأولى حاضرة فيها! إن اشتهاءنا أن تعود الكنيسة إلى عصر من عصورها السالفة دليل على عدم تقبُّل حكمة اليوم ورسالته، وعلى عجز عن بلوغ معرفة مشيئة الله في حوادث الحاضر! فحاضر الكنيسة جزءٌ لا يتجزأ من ماضيها!

ماضي الكنيسة حاضر فيها:

أيها الناظرون إلى الوراء: لن تعود الكنيسة إلى عصورها الأولى ولن يفيدها ذلك لو عادت، فالكنيسة تحمل ماضيها حياً في جسمها.

وماضيها هو خبرة إيمانية، وشهادة، ومعرفة، وقداسة، وسلطان، وملء جزئي لقامة المسيح. فأية نظرة إلى الوراء معناها أننا لا نحيا حقاً في حاضر الكنيسة، فحاضرها يحمل كل ماضيها.

حركة:

والكنيسة ماضية في طريقها كجسم حي متحرك يتجه بسرعة نحو غاية مرسومة قبل الدهور، ونحو ختام خدمة محددة في ملء الأزمنة[11]، وهي لا تقبل أية حركة إلى الوراء، ولن تتوقف في طريقها، وكل من يريد أن يسير معها عليه أن يلحق بها بنفس سرعتها وذلك بأن يتغير كل يوم متجدداً في المعرفة «إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه.»[12]

وعليه أيضاً أن يدفع عجلة خدمتها بماله وجهده وفكره، ويجرف بقلبه المتسع ويحبه كل المتخلفين عنها في الطريق، عالماً أن كل خدمة يبذلها سوف تؤول له إلى ثبوت ثم إلى خلود!!

(١١) أف ١:١٠.

(١٢) كو ٣:٩و١٠.

٣ ــ مستقبلٌ معــاند

والكنيسة تسير نحو مستقبل معاند، فالزمن يبدو دائماً أنه ضد الكنيسة، ولكنها في كل مواقفها طوال هذه الآلاف من السنين انتصرت عليه وامتصت منه خبرة حية استخدمتها ضده، فغلبت العالم بشرّه وفلسفته وجحوده و بدعه وأفكاره وأعماله، في غير ملل، وخرجت منتصرة غالبة؛ وانطوى المستقبل المعاند فصار ماضياً ذلولاً؛ وتحول الزمن لها إلى حكمة ومعرفة؛ وتحول جهادُها إلى ملء وجهادُ أعضائها إلى خلود.

خبرة:

و بذلك صار لها مجال من الحق والخبرة والمعرفة بالغ القدر، تغلب به أهوال الزمان ببطء و بلا دعاية، وبجسمها الحي تبتلع الموت في صمت لتزداد ملئاً وتزداد حياة!! فشخصية الكنيسة فوق الزمان وكل من يحيا فيها يغلب، وكلُّ من يحيا حسب هذا الدهر يموت بعيداً عن مجالها الحي!

مسئولية:

يا لها من حقيقة خطيرة تلقي علينا مسئولية أخطر تجاه الزمن! لأنه إما أن نسلك بحسب الحق فنجعل الزمان يتحول في الكنيسة إلى نصرة وإلى ملء فيؤول إلينا ثبوتاً وخلوداً، وإما أن نسلك حسب أهواء هذا الدهر غير مفتدين الوقت[13] فيتحول الزمن إلى أكل وشرب ونوم وكَسْب وعلم وشهرة ونزهة وتسلية فنضيّع على الكنيسة فرصاً حية بعضويتنا الفاشلة الميتة، وتؤول حياتنا إلى انحلال ثم إلى زوال!!

(١٣) أف ٥:١٦.

شخصية الكنيسة فوق الآلام

الألم تحقيق الذات: المعروف عن الآلام أنها عنصر من عناصر عدم تحقيق مطالب النفس؛ ولكن في اللحظة التي يتقبّل فيها الإنسان الألم بمسرة يكون ذلك منه دليلاً أقوى دليل على تحقيق الذات!

الإحساس بالألم علامة حياة: أليس الألم هو اختبار الحي لا الميت(١)؟ فكلما أحس الإنسان بالألم عبَّر عن غور الحياة التي فيه.

احتمال الألم كشف عن قوة الحياة: لكن إذا احتمل الإنسان اختبار الألم فإنه يعبِّر عن قوة الحياة التي يحياها وصلابتها. (٢)

الفرح في الألم علامة حياة أخرى: أما إذا كان احتماله للألم بفرح ومسرة فإنه يعلن بمسرته عن حياة أخرى أفضل من الحياة المتألمة التي يحياها على الأرض. (٣)

السعي نحو الألم هو حياة في الحياة الأخرى: أما إن هو سعى نحو الألم وابتغاه، فهو يكشف في وضوح أنه يحيا في ملء الحياة الأفضل(٤)!!

(١) جا ٩: ٤.
(٢) وأيوب مثل رائع للإحتمال، كذلك بولس الرسول لا نستطيع أن نغفل قدرته على ذلك.
(٣) إسطفانوس مثل رائع للإحتمال بفرح.
(٤) عب ١١: ٣٥، يو ١٠: ١٠.

وحينما يبلغ الألم إلى الموت من أجل كلمة الشهادة يكون قد أكمل الثمن لقيامة الحياة الأبدية(٥)!

وها هي الكنيسة تحيا في أعماق أعماق الحياة الفضلى. فغالبية أعضائها يحيون الآن في الحياة الأبدية، لأنهم أكملوا الثمن حاملين آلامهم وتعاذيبهم في أجسادهم التي هي سمات الرب يسوع(٦)!

وشهادتهم حية لا زالت تنبثق من قبور الشهداء و بطون أسرى الرجاء إلى جيل الأجيال!!

الألم غاية من غايات الكنيسة:

إن روح الكنيسة لا يموت بالإضطهاد وشخصيتها لا تضعف بالآلام، لأنه روح إلهي، وشخصها له سمات الرب يسوع.

ولكن لا يتطرق إلى الذهن أن الكنيسة قد وُضع عليها أن تتألم كعمل ثانوي، لأن المسيح لم يوضع عليه الألم كعمل إضافي بل كان الألم غاية التجسد(٧)، والهدف الوحيد الذي نزل ابن الله ليكمّله. وعلى الصليب أعلن هذا أنه «قد أكمل»!

هكذا الكنيسة أيضاً، التي هي جسده، عليها أن تكمّل نقائص شدائد المسيح في جسمها أي في أعضائها المؤمنين لأجل جسده. هذا ما أعلنه بولس الرسول بوضوح في نفسه كعضو فيها، كنموذج لبقية الأعضاء أي للكنيسة قائلاً: «أكمل نقائص شدائد المسيح في جسمي لأجل جسده الذي هو الكنيسة.»(٨)

(٥) رؤ ٢٠: ٤. (٦) غل ٦: ١٧.
(٧) يو ١٨: ١١. (٨) كو ١: ٢٤.

لذلك فالكنيسة لا تنظر للألم كعمل غريب عن جسمها تقشعر منه، أو كأنه نير ثقيل تتهرب منه، بل على العكس يعلن يعقوب الرسول عن فكر الكنيسة الذي فيه قائلاً: «إحسبوه كل فرح ياإخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة»[٩]؛ فهي لا تنطوي تحت الألم أو تُغمر به، بل ترفعه وترتفع به وتسمو عليه، تحمله في جسمها زينةً وتضعه على رأسها تاجاً! أليس الصليب هو فخرها[١٠]؟

الألم شهادة: فالآلام للكنيسة كالآلام للمسيح: تعلن عن سر الحياة المخفى وراء الصليب، وتشهد للحب والبذل، إذ لا يمكن الإعلان عن الحياة المسيحية إلا في معرض الآلام[١١]، لأن الآلام كما قلنا صفة الحي لا الميت.

الألم علامة على التئام العضو في جسد المسيح المتألم: وإن كان احتمال الآلام في اعتبار أهل العلم فضيلة لأنه يعلن عن قوة إرادة وشكيمة، وفي الحياة المسيحية يُعتبَر نعمة[١٢]، نقول أن احتمالها والإشتراك فيها مع الكنيسة بحمل نيرها والمحاماة عنها يعتبر علامة أكيدة على التئام العضو في جسد المسيح!

أية نعمة وأي فضل، إذن، أن نكون أعضاءً متألمين في كنيسة المسيح؟ «لأنه قد وُهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط بل أيضاً أن تتألموا لأجله.»[١٣]

الإشتراك في آلام الكنيسة علامة على صحة العضوية: وإن كان الإشتراك في أفراح الكنيسة ومسراتها وأعيادها لذة روحية، فالإشتراك في ألمها وضيقها واضطهادها يعتبر علامة على صحة حياة العضو وسريان روح الكنيسة فيه.

(٩) يع ١: ٢.
(١٠) غل ٦: ١٤.
(١١) في ١: ٢٩.
(١٢) ١بط ٢: ٢٠.
(١٣) في ١: ٢٩.

وإن كانت المواظبة على طقوس الكنيسة وتتميم واجباتها المفروضة والإشتراك في أسرارها يؤهلنا للإتحاد بالمسيح، يكون حمل نير الألم في الكنيسة وتحمُّل الضيق والإضطهاد من أجل الكلمة والإشتراك في أعواز الضعفاء والمرضى هو علامة وحدة العضو مع الأعضاء بل ومع الرأس أيضاً. وهي وحدة حقيقية، فيسري روح الكنيسة في العضو ليمتلىء بالإيمان والحق والمعرفة والغيرة والحب، وتحل عليه أرواح الشهداء والقديسين وتستقر فيه قوتهم كما استقرت روح إيليا في **أليشع**[١٤] أو في **يوحنا المعمدان**[١٥]!

من أجل هذا تصلي الكنيسة في ختام رفع البخور حينما يذكر الكاهن بركات السيدة العذراء والملائكة والشهداء والرسل والقديسين والأبرار والصديقين؛ و يكمل قائلاً: [بركتهم المقدسة ونعمتهم وقوتهم وهبتهم ومحبتهم ومعونتهم تكون معنا كلنا إلى الأبد آمين.][١٦]

ولا يكون هذا الكلام غريباً على أسماعنا، ألسنا جميعاً أعضاء معهم أحياء كلنا ومتحدين في الجسد الواحد؟

الحاجة إلى الألم: إذن نستطيع أن نفهم مقدار احتياجنا الشديد إلى أن نتجاوب مع هذا الجسد أي أعضاء الكنيسة. ثم أية كرامة وأي شرف نناله حينما نتحد بهذا الجسد فنكون واحداً، لا مع قديسيها فحسب ولكن بالأكثر جداً مع فقرائها ومعوزيها والمتألمين والمضطهَدين فيها. لأن هؤلاء القديسين لم يصيروا قديسين إلا لأنهم كانوا فقراءَ ومعوزين ومتألمين ومضطهَدين أيضاً[١٧]!!

(١٤) ٢مل ٢: ١٥.
(١٥) لو ١: ١٧.
(١٦) القداس الإلهي (البركة).
(١٧) عب ١١: ٣٦و٣٧.

شرف التألم: والمسيح يشير إلى الجياع والعطاش والغرباء والعراة والمرضى والمحبوسين قائلاً عنهم إنهم إخوته [١٨]، ثم يعود و يرتقي بهم ليعتبرهم شخصه، وهو لا يقول «كشخصه» بل «شخصه» بالذات أي جسده الذي نتكلم عنه الذي هو الكنيسة «بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم.» [١٨]

والسيد في هذه الإشارة لا يوجهنا إلى العطاء فحسب، بل يوجهنا إلى تقدير المعطى لهم والمخدومين منا تقديراً يسمو حتى يتساوى مع شخص المسيح، ثم يرتقي بنا في نهاية كلامه إلى أن يدخل بنا منطقة السر العجيب الذي يعلن فيه أنهم جسده الشخصي! حتى نفهم ونحس أن هذه الأجساد الجائعة العطشانة الغريبة التي بلا مأوى العارية المريضة المحبوسة هي هي جسده السري: الكنيسة!!

وواضح إذن أن مقدار حيويتنا في جسد المسيح يتوقف على مقدار استجابتنا لتحمُّل نصيبنا المفروض في أعواز الأعضاء الضعيفة والمريضة والمتألمة.

الآلام ضريبة المجد: وهكذا تبدو شخصية الكنيسة متألمة في ظاهرها، أما في حقيقتها فآلامها غير محسوبة عندها، إلا كواسطة لتكميل أجرة مجدها.

كثيرون انضموا إلى الكنيسة في مظهرها فرحين مسرورين وعملوا وكدُّوا خادمين وواعظين، وحينما بدأوا يرصدون مجالها الحقيقي الذي تقع فيه ضريبة المجد، أي الآلام، انزعجوا؛ فساروا وداروا حولها من بعيد دون أن يدخلوا مجالها الإلهي!! وتهربوا من الآلام بالنفاق والمداهنة، وتخلصوا من الإضطهاد بالمجاملة واصطناع السياسة واللف والدوران، لأن حياتهم كانت عندهم أثمن من الصليب! ورأوا بعين حكمة الجسد أن يرضوا الله والناس، و يوفقوا بين رؤساء العالم الحاضر و بين

(١٨) مت ٢٥: ٤٠.

الملكوت، وعرجوا بسهولة بين الفرقتين، ونجحوا جداً في نظر أهل العالم... هؤلاء خدام للكنيسة ولكنهم ليسوا أعضاء في جسمها الحي، هؤلاء علماء بها، واعظون لها، ولكنهم ليسوا قديسين فيها.

الآلام الحاضرة عصارة الحياة الأبدية: والآن تنكشف أمامنا أهمية الآلام في الكنيسة والإضطهاد الذي تحيا فيه بلا انقطاع! فهو ليس اختباراً فقط بالنسبة للأعضاء بل هو عصارة الحياة التي ينمو بها جسمها والتي إذا قبلها الفرع سرت حياتها فيه فثبت وتأصَّل وأثمر، وإذا جزع وامتنع ذبل وجفَّ. فالآلام عنصر أساسي في كيان الكنيسة تسمو به وتسمو عليه!!

كثيرون اضطهدوها في الخفاء والعلانية سواء كانوا من أعدائها أو من أولادها. هؤلاء قوَّاهم الشرير، وقسَّى قلبهم عدو الخير، ولكن ما علموا أنهم يعملون لحساب الشيطان وهلاك أنفسهم! وأنهم يهيئون باضطهادهم أكاليل شهادة للأعضاء المضطهَدة.

أيام الآلام أيام انتعاش الحب وازدهار العضوية: والكنيسة هي الكنيسة تزداد كل يوم و ينضم إليها المختارون بالرغم مما عُمل فيها وما سيُعمل. فمجالها الحي يزداد نشاطاً في الآلام، لأنها أيام انتعاش الحب عند الأعضاء العاملة وأيام ازدهار العضوية لقبول أعضاء جدد ممن تستهويهم شهوة البذل وتجذبهم روعة الشهادة للحق!

مشهد الجلجثة يتجدد كل يوم: إنها تحيا دائماً مصلوبة والذين يسلمونها هم أبناؤها، إنها تحيا دائماً وسط أعضاء صالبين وأعضاء خادمين باذلين محبين، يحيط بها لص مجدِّف عن الشمال، ولص ممجِّد تائب معترف عن اليمين!! حواليها شهود زور كذبة، ولكن فيها آباء مكرَّمون ومعترفون، فيها ذئاب وفيها خراف، فيها قمح

وفيها زوان! ولكنها ستنتفض انتفاضة حينما يأتي عريسها، فتقطع عنها أعضاء الزور، وتختطف الكنيسة المجاهدة مع القديسين من الراقدين عند قيامتهم ليكونوا معاً كأبرار مكمَّلين تصحبهم ربوات هم محفل ملائكة.

المصَفُّون عن البعوضة والمتمسكون بقرون المذبح: إنها تحيا دائماً وفيها أعضاء لهم صورة التقوى تماماً(١٩)، تمسكوا بالأوضاع والأشكال والأقوال، يُصَفُّون عن البعوضة بتدقيق(٢٠) و يغسلون الكأس من الخارج(٢١) لتظهر للناس نقاوته و يقولون: مذبح الرب! مذبح الرب(٢٢)! بلغة أجدادهم قاتلي الأنبياء(٢٣) حتى يكسبوا عقول البسطاء(٢٤)، فإذا حان الوقت يبتلعون الجمل(٢٥) و يتركون الحق والرحمة(٢٦)!!

الكادحون لحساب أنفسهم: وفيها أعضاء يكدون و يكدحون أو هكذا يظهرون وكأنما لم يبقَ لحياتهم من بعد الكنيسة شيء، مع أن كدَّهم وكدحهم هو لحساب أنفسهم، ولم تنل الكنيسة من ورائهم شيئاً(٢٧)!!

وهؤلاء وهؤلاء أعضاء مؤقتون ستنفضهم الكنيسة وتخلعهم عنها يوم يجيء عريسها فلا يوجدون.

سبعة آلاف ركبة: إنها تحيا دائماً وفيها أعضاء مجهولون، أغنياء وفقراء، حكماء

(١٩) ٢تي ٣: ٥.
(٢٠) مت ٢٣: ٢٤.
(٢١) مت ٢٣: ٢٥.
(٢٢) ١مل ٢: ٢٨—٢٩.
(٢٣) مت ٢٣: ٣١.
(٢٤) رو ١٦: ١٨.
(٢٥) مت ٢٣: ٢٤
(٢٦) مت ٢٣: ٢٣.
(٢٧) رو ١٦: ١٨.

وجهلاء، رجال وأطفال، شبان وشابات، ليست لهم صورة التقوى فقط ولكن لهم قوتها في حياتهم الداخلية في سر، ليس من يعرفهم ليمدحهم، وليست لهم حياة ظاهرة في تقوى مُصنَّعة ليستوفوا عليها الأجر، وعلمهم وتعليمهم ليسا بذي خطر حتى يُمتدح على المنابر، صلواتهم في الخفاء، وإن كانت في العلن فليست في بهرجة ولا تطويل ولا إعلان حتى لم تعد تستحق كثيراً من الإلتفات، هؤلاء هم جسم الكنيسة الحي، ولكنهم لا يحيون مع ذلك بلا ألم.

المطرودون الجائلون على وجه الأرض: وفيها أيضاً ذوو المواهب الذين بسبب مواهبهم لم يحتملهم مكان ولا رئيس، لم تسعفهم مواهبهم الروحية للمقاومة لأنها مواهب للوداعة والإتضاع وليست للمقارعة أو الدفاع! هؤلاء عاشوا في ذل و بلا إقامة، وجالوا مشتتين مبشرين في أماكن منفاهم أينما حلُّوا.(٢٨)

لم يكفَّ مضطهدوهم عنهم؛ ولا هم كفُّوا عن خدمة سيدهم!! أقاموا عليهم قضايا زور وكلاماً شريراً، ليُخفوا فضيحة ظلمهم لهم، وليعللوا اضطهادهم و يريحوا عذاب الضمير، أو ليَظهروا أمام الناس أبرياء، ولكن الحق يخفى إلى حين؛ فكلمة الحق التي في قلوبهم وأفواههم لابد أن تعلن عن ذاتها حتى ولو لم يريدوا وحتى ولو ماتوا.

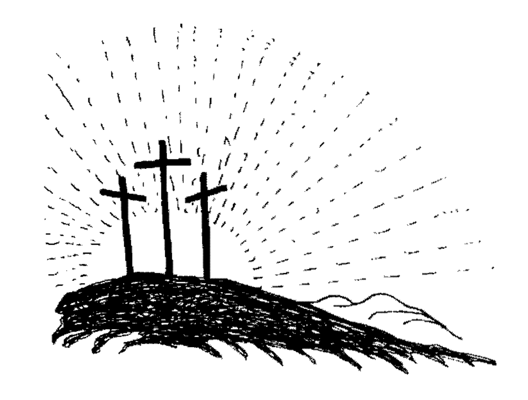
وصليب مردخاي لا يمكن أن يُصلب عليه مردخاي، فهامان أعدَّه لهامان(٢٩)!

و بعد حكومة الظالمين لا تزال حكومة ينصبها التاريخ، و بعد حكومات الناس توجد محكمة في السماء(٣٠)!!

(٢٨) أع ٨: ٤.
(٢٩) أستير الأصحاح السابع كله.
(٣٠) ١بط ٢: ٢٣.

وصليب المسيح لا يزال رعباً ومرارة لحنان وقيافا!!

أما هؤلاء المتألمون في جسم الكنيسة، فالكنيسة سوف تتزين بهم يوم تُدعى لملاقاة الرب؛ وتتعطر بهم لأن رائحتهم تشبه رائحة الجلجثة!!



شخصية الكنيسة فوق التحزبات

قرعة مؤلمة: مؤلم على أسماعنا كلمات النبوة التي تحققت عند الصليب «على لباسي ألقوا قرعة»(١). ولكن هل يتصور العقل أن تُلقَى مثل هذه القرعة بين التلاميذ على الجسد مثلاً فيمزقه المتشاحنون ليأخذ كل واحد ما تخرجه له قرعته؟

ولكن شكراً لله أنهم لم يصنعوا هذا لأنهم لا يستطيعون إذ «عَظْمٌ من عظامه لا يُكسر.»(٢)

فما بالنا، إذن، نجترىء نحن على هذا الأمر وبلا حياء وبلا قرعة نمزق، أو بالحري نحاول أن نمزق، هذا الجسد في تحزبات وانشقاقات وبدع وطوائف عديدة، «هل انقسم المسيح»(٣)؟

الجسم غير منقسم: ولكن شكراً لله أيضاً أن جسد المسيح لا يمكن أن ينقسم أو يمزَّق. فكنيسة المسيح الحقيقية فوق التحزبات والإنشقاقات والبدع والطوائف، قائمة ثابتة فوق الزمن فوق الآلام كالطود، لا باستقامة رأيها وإيمانها في الخلاص فحسب بل بأعضائها الذين آمنوا بها وخلصوا ووقفوا شهوداً لها في السماء، لا كأنهم عاشوا في ماضيها وانتهوا. بل هم عائشون في حاضرها، مكوِّنون لهيكلها السمائي، عاملون ومصلُّون من أجلنا لنكمل مثلهم.(٤)

---

(١) مت ٢٧: ٣٥.
(٢) يو ١٩: ٣٦.
(٣) ١ كو ١: ١٣.
(٤) عب ١١: ٤٠.

إن الكنيسة قوة هائلة تشمل ألوف ألوف وربوات ربوات القديسين الذين أكملوا سعيهم وجهادهم وخدمتهم على الأرض ولا زالوا يقدمونها في السماء.(٥)

انشقاق كاذب: أما الذين انشقوا عنها وعادوها ظلماً فهم كاذبون في انشقاقهم، غير جادين في عدوانهم، لأنهم أخذوا إيمانها وحبها وخرجوا منها وتزيُّوا بأسماء غريبة منوعة، مع أن الأرثوذكسية لا زالت قلب إيمانهم وخلاصهم، مهما تغيروا عن شكلهم. أليس قانون إيمان القديس أثناسيوس هو قانونهم؟ أليست مسيحيتهم جملة هي ثمار لبذار أُلقيت قديماً في أرضها وسُقيت بدماء شهدائها(٦)؟

قطيعة ليس إلا: أينسى الإبن أمه حتى ولو تاه عنها زماناً؟ إنه حتماً يعود ويحبها، ولو لم يعرفها يعود و يعشقها، ألم يصنع هذا «أوديب» في أساطير اليونان؟ ألم يذكر هذا إشعياء بروح النبوة قائلاً عن الكنيسة في أواخر أيامها بالذات: «كما يتزوج الشابُّ عذراءَ يتزوجك بنوكِ»(٧)؟! تأمل في روح النبوة: كيف يتزوج الإبن أمه إلا إذا هجرها في عناد وجهل البنوة أياماً كثيرة ثم عاد إليها فلم يعرفها، وإذ أحبها يتزوجها؟

متى تتزين أمنا: متى تتزين أمنا العروس وتلبس ثوب بهائها ليعود إليها أبناؤها؟ متى نعلن الحق الذي فيها ليعود إلينا إخوتنا الذين تركونا في عناد الأُخوَّة لنحيا جميعاً في شركة المحبة؟

عودة بغنائم: سيعودون حتماً ومعهم غنائم كثيرة: نفوس من أفريقيا وآسيا وأوروبا وجزر البحار البعيدة «إرفعي عينيكِ حواليك وانظري. قد اجتمعوا كلهم.

(٥) رؤ ٥: ١١.
(٦) القديس إيرينيوس.
(٧) إش ٦٢: ٥.

جاءوا إليكِ. يأتي بنوكِ من بعيد... وتُحمل بناتك على الأيدي. حينئذ تنظرين ويخفق قلبك و يتسع لأنه تتحول إليك ثروة البحر و يأتي إليك غنى الأمم.»(٨)
وحينئذ يكمل اسمها الذي أخذته بروح النبوة: «كنيسة واحدة وحيدة مقدسة جامعة رسولية.»

جامعية الحب لا يمنعها الشقاق: ولكن ليتنا لا ننتفخ كأننا أصحاب محتكرون للإيمان الحق، فنظرة محبة نحو إخوتنا المنشقين عنا يعوضنا كثيراً عن هذه الإنفصالية المميتة في مسيحيتنا.

لأننا نخطيء كثيراً ونحول قوانين إيماننا إلى جرائم وخطايا شنيعة حينما نبغض ونحقد ونضطهد من لا يشترك معنا في إيماننا. فهل قوانين الحق تنبع منها بغضة؟! ومبادىء الإيمان المستقيمة تنتج حقداً؟ ووصايا الحب تحرض على الإضطهاد؟!

إنه يعوزنا مشورة يعقوب الرسول الوقور: «لا يصح ياإخوتي أن تكون هذه الأمور هكذا. ألعل ينبوعاً ينبع من نفس عين واحدة العذب والمر؟»(٩)
تقول محتجاً: إنهم هم الذين يفترون ويحقدون، أقول: هذا يليق بالإبن المنشق ولكن لا يليق بالأم — أي الكنيسة — التي هي أمهم جميعاً؛ وأنت تمثل هذه الأم التي تحتمل مضايقات ابنها لأنها تأمل بل تثق في رجوعه!!

جامعية الحب يمنعها الرياء والنفاق: ولكن ليس من أجل الصداقة، أو المحبة، أو الأُلفة نتخلى عن مبادىء إيماننا أو نتهاون في حرف واحد منها، لأن كل حرف فيها مثمَّن بدم ألوف من شهداء، حتى كما استلموه من الرسل سلموه إلينا وإلى جيل الأجيال.

(٨) إش ٦٠: ٤و٥.
(٩) يع ٣: ١١.

كذلك لا نستهين ولا نساوم بتراثنا العقائدي والروحي، وتقاليد عبادتنا التي هي صورة أمنا وشكلها، الذي سوف يجذب أبناءها يوماً حينما نستوعبه نحن! فلا نفرط فيه كأنه بلا ثمن، ولا نتمسك به تمسكاً أعمى لئلا نواجه النقد فنخور. ولا ينفع أن ندافع عنه دون أن نختبره ونتذوقه في حياتنا وإلا سوف ينكمش هذا التراث الخصيب و يذبل مهما حاولنا أن نحميه بأقلامنا أو أفكارنا.

تراثنا جزء حي من كياننا:

عالمين أن هذا التراث قد رسخت صورته في طبيعة الأجيال كجزء مكون لسلوكنا الأخلاقي، وكطابع لوجهاتنا الفكرية ونزعاتنا النفسية، إن كان في الأفراد أو الأُسر أو الجماعات، فهو بمثابة التعبير العملي عن استيعابنا لجوهر المسيح وحق الإنجيل؛ فهو إذن تراث لاهوتي.

فأي مساس بهذا التراث المتغلغل فينا كفيل بأن يزعزع أسس الإيمان والحياة كلها. وأية محاولة تُبذل من هذا القبيل سوف تأتي بعواقب وخيمة للغاية، كما حدث في البلاد التي نفضت عنها تراثها وغيرت واستحدثت غيره على ضوء نظريات علم النفس والتربية، فأصبحت الآن في حالة انحلال خطير، وتزعزعت أسس الإيمان فيها جملة، وابتُليت بنكسات فكرية وروحية شريرة، وكانت البداية حركة صغيرة نحو تعديل التراث القديم (١٠)!!

مؤتمرات وقرارات وتوصيات ليست بذات نفع: وليست هناك حاجة ولا منفعة من المؤتمرات المسكونية ومجالس الكنائس بقراراتها وتوصياتها التي لا تنتهي من أجل الوحدة الحقيقية لكنيسة المسيح. من أجل أن نوحد المؤمنين أو نوحد

(١٠) الإحصاءات الأخيرة بين الشبان عن الإلحاد والنجاسة وفقدان العذراوية في غالبية بنات أمريكا وحركات الإجرام التي اكتسحت بلاداً برمتها بقيادة صبية المدارس والفتيات تشهد بذلك!!

الإيمان، فالحاجة مُلحَّة أولاً إلى بشارة صحيحة ودعوة صادقة لتجديد حياة الأفراد والشعوب. فاليوم الذي يقترب فيه كلٌّ منا نحو المسيح بقلبه و يشعر بحقيقة خلاصه سوف نتلاقى فيه حتماً في كنيسة روحية واحدة.



شخصية الكنيسة فوق الألقاب

■

١ ـ لقب المعلِّم

شروط اللقب:

كان «المعلم» هو اللقب الشائع المحبوب الذي عُرف به الرب يسوع (١). ولكن وإن وُجدت ربوات معلمين بين الناس فليس إلا معلمٌ واحد للعالم، الرب يسوع. (٢)

لأن تعليمه هو تعليم الله شخصياً:

ـ «أجابهم يسوع وقال **تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني.** إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسي.» (٣)

هذا هو التعليم الحقيقي وهذا هو معلم الحق: أن يكون المعلم مُرسَلاً من الله، وأن يكون تعليمه لمجد الذي أرسله:

ـ «**من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه، وأما من يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم.**» (٤)

لذلك كل من يتجرأ و يعلّم بإسم الله وهو لم يرسله الله، فهو ليس معلماً لأنه يتكلم من نفسه طالباً مجد نفسه؛ هو ظالم لأنه يختلس مجد الله لنفسه.

---

(١) يو ١٣:١٣.
(٢) مت ٢٣:١٠.
(٣) يو ٧:١٦و١٧.
(٤) يو ٧:١٨.

منطق الفلاسفة:

إن كلمة «معلم» شيء عظيم ومهول لأنها تعني من يتكلم بعلمه الخاص الذي يعرفه ولم يتعلمه من أحد. هذا كان منطق الفلاسفة والحكماء.

فكل حكيم أو فيلسوف كان يُدعى معلماً بسبب ما عنده من معرفة وحكمة وفلسفة خاصة به لم ينقلها عن أحد غيره ولم يسبقه فيها آخر؛ فكانت له مدرسة وكان له تلاميذ يأخذون عنه.

فإذا طبقنا هذا المعنى يكون كل من يتكلم عن المسيح أو يكرز به، يُدعى تلميذاً وحسب، وليس له من جهة المنطق البشري أو العُرف الفلسفي أن يُدعى معلماً. كفاه لقب تلميذ ـ وهذا اللقب أيضاً يكون فضلاً عظيماً لو استؤهل له، لأنه إنما ينقل علم المسيح للناس. (٥)

منطق المسيح: هذا هو منطق الفلاسفة أو منطق الناس، ولكن ليس هو منطق المسيح. فالمسيحية ليست علماً من علوم الناس، ولكنها حق إلهي لا يمكن أن يتعلمه الناس من أنفسهم، و يستحيل أن يدركه عقل إنسان مهما كان حكيماً أو فيلسوفاً!! بل يلزم لمن يريد أن يعرف المسيحية أن يكون فيه روح المسيح! «**إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له**» (٦)؛ بل و يلزم أيضاً أن يكون قد تغير عقله وتجدد ذهنه حتى صار أهلاً أن يحل فيه فكر المسيح: «لأنه من عرف **فكر الرب فيُعلِّمهُ وأما نحن فلنا فكر المسيح**» (٧)؛ وليس ذلك فقط بل و يلزمه جداً أن يكون قد أكل الجسد وشرب الدم واتحد بالمسيح بالإيمان فحلّ فيه المسيح بشخصه الحي «**ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم.**» (٨)

---

(٥) مت ١٠:٢٥.
(٦) رو ٨:٩.
(٧) ١ كو ٢:١٦.
(٨) أف ٣:١٧.

هذا لمن يريد أن يعرف المسيح أو يعرف حق المسيحية؛ أما من يريد أن يعلّم عن المسيح أو يعلّم عن المسيحية فيلزمه فوق ذلك هبة خاصة «**كلام علم بحسب الروح.**»[٩]

أي أن من يريد أن يعلّم المسيح للناس لا يمكن إلا أن يعلّم بالمسيح، أي يلزم أن يحل المسيح فيه بشخصه وبلقبه المحبوب «**المعلّم**» فيعلّم المسيح بالمسيح!!

وحينئذ لا يكون هو المتكلم: «**لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم.**»[١٠]

ولا يتكلم بشيء من نفسه بل كما يعطيه الله: «**لأني أنا أعطيكم فماً وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها.**»[١١]

من له المسيح فهو «المعلم»، وهكذا إذ يتكلم بفم المسيح وينطق بالروح القدس ويعلّم بعلم المسيح الشخصي، لا عنه ولكن به، فمن ثمّ لا يصير بعد تلميذاً؛ بل يكون هو هو «المعلم» المحبوب، معلم الجليل، والناصرة، وكفرناحوم لا يزال يعلم بنا:

ـ «**علّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى إنقضاء الدهر آمين.**»[١٢]

إذن، فكلُّ من أرسله الله وأعطاه علم المسيح وحقه وروحه وفكره؛ وحلّ المسيح بالإيمان في قلبه؛ وأخذ روح علم؛ فإنه يُدعى «**المعلم**» بالحق!! وإنما ليس بشخصه ولا من نفسه يعلّم ولكن بالمسيح، أو بالحري المسيح يعلم به «نسعى

(٩) ١كو١٢: ٨.
(١٠) مت ١٠: ٢٠.
(١١) لو ٢١: ١٥.
(١٢) مت ٢٨: ٢٠.

كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا.»[١٣]

وهكذا لا نكون بعد معلمين كثيرين: «**لا تكونوا معلّمين كثيرين يا إخوتي**»[١٤]؛ بل في الواقع نكون كلنا «المعلم» الواحد لأننا نعلم بروح واحد وحق واحد وإيمان واحد ورب واحد، إذ نعلّم لا بأنفسنا ولا ما هو لنا بل المسيح يعلّم بنا، **فالروح «يأخذ مما لي ويخبركم.»**[١٥]

«المعلم» يضع شروط «المعلم»: والمسيح كان معلماً من طراز عجيب، وُضع ليكون نموذجاً للبشر. اسمعه يقول عن نفسه: إنه لم يكن يتكلم من ذاته بل كل ما يسمعه من الآب هذا كان يتكلم به[١٦]، ولا كان يعمل شيئاً من ذاته بل كل ما كان يريه له الآب هذا كان يفعله[١٧]، ولم يكن يريد شيئاً قط من نفسه بل كان يعمل فقط مشيئة الذي أرسله[١٨]، لا كأنه لم يكن له علم أو معرفة أو مشيئة خاصة ولكنه «أخلى نفسه»[١٩] من كل ما له لكي يتقبّل عمل الآب فيه فيتمم معنى الطاعة والخضوع تتميماً عجيباً مدهشاً.

مع أنه هو الذي قال: «**كل ما للآب هو لي**»[٢٠]، و«**كل ما هو لي هو للآب**»[٢١]، و«**أنا والآب واحد**»[٢٢]، مشيراً بذلك أن الإبن لا ينقص عن الآب شيئاً قط بل هو مساوٍ له في كل شيء؛ ولكنه تخلى عن كل ما له حتى يفكر

(١٣) ٢كو٥: ٢٠.
(١٤) يع ٣: ١.
(١٥) يو١٦: ١٤.
(١٦) يو٨: ٢٦و٢٨و٣٨.
(١٧) يو١٠: ٣٧.
(١٨) يو٤: ٣٤ و٥: ٣٠.
(١٩) في ٢: ٧.
(٢٠) يو١٦: ١٥.
(٢١) يو١٦: ١٥ و١٧: ١٠.
(٢٢) يو١٠: ٣٠.

و يعمل و يريد بالآب فقط وليس بنفسه، فيكمل ناموس الطاعة والخضوع، ليعطي لنا النموذج الواضح والوسيلة السرية التي نستطيع بها أن نتقبل فكر الله وعمله ومشيئته فينا!!

وهكذا إذ نأخذ المسيح فينا، نستطيع مرة أخرى أن نكون مثله فنتخلى عن كل ما لنا من معرفة خاصة وعمل شخصي ومشيئة ذاتية بسهولة بنعمته، فتحل علينا مشيئة الله وعلمه ومعرفته وعمله!!

بعد هذا هل يمكن أن نفهم القول الذي قاله الرب: «**لا تُدْعَوْا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح.**»(٢٣)؟
أي أن المسألة ليست ألقاباً شخصية، فلن يوجد إلا «المعلم» الواحد!!

الكنيسة وحدها تسلم لقب «المعلم»: ولكن من أين لأي واحد أن يأخذ روح المسيح وفكره وحقه وعلمه حتى يعلّم المسيحية، أو بالحري من أين له أن يأخذ شخص المسيح فيه حتى يعلّم المسيح به؟ لابد أن يكون هناك مصدر واحد نتقبل منه كل ما للمسيح، حتى نتعلم تعليماً واحداً أو لنكون كلنا معلماً واحداً. و يلزم أن يكون هذا المصدر ليس فيه أي انقسام ولا تغيير أو مبادىء مختلفة متضادة، وإلا يتعذر أن نعلّم تعليماً واحداً أو نكون كلنا معلماً واحداً.(٢٤)

من أين لنا هذا إلا من الكنيسة جسد المسيح وعروسه، نستلم منها سر التجديد وشركة الروح ودراية الإنجيل ومعرفة الحق! نستلم منها المسيح بشخصه الحي حينما يُستعلن لنا في أسرارها فنقبله بالإيمان، فيحلُّ بشخصه الفريد، في قلوبنا، معلم كفرناحوم المحبوب!

(٢٣) مت ٢٣: ١٠.
(٢٤) ١ كو ١: ١٠–١٣.

مؤهلات الكنيسة كمانحة للقب «المعلم»: والكنيسة لها فكر المسيح وحقه وعلمه، لا في أسفارها وكتبها وشروحاتها المستوفاة فحسب، بل وفي أعضائها التلاميذ الذين رأوا الرب يسوع وعاشوا معه وأخذوا عنه، وأعضائها الذين استُعلن لهم عياناً بعد ارتفاعه وسمعوا صوته من السماء وعرفوا مشيئته: «إله آبائنا انتخبك لتَعْلَم مشيئته وتبصر البار وتسمع صوتاً من فمه. لأنك ستكون له شاهداً لجميع الناس بما رأيت وسمعت.»(٢٥)

هؤلاء جميعاً أعضاء أحياء معنا في جسم الكنيسة، الذي أُعطي لنا أن نتحد به، فصارت لنا معهم شركة **بواسطة الكنيسة** وروحهم تؤازرنا وتكشف لنا عن سر الحق والمعرفة المذخرة في المسيح! «لي أنا أصغر جميع القديسين أُعطِيَتْ هذه النعمة أن أُبشّر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يُستقصى، وأُنير الجميع في ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح، لكي يُعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات **بواسطة الكنيسة** بحكمة الله المتنوعة.»(٢٦)
إذن، فالكنيسة فيها سر التعليم الذي يتقبّله الأعضاء منها كما يتقبّلون الحياة والروح والتجديد.

وهكذا تنكشف الحقيقة المخفية عن كثيرين: أن الكنيسة مصدر التعليم الواحد الثابت، لأنها تهب كل ما للمسيح بل تهب المسيح ذاته!! فشخصية الكنيسة تحمل لقب المسيح الخالد «المعلم».

فلا يحلُّ لإنسان ما أن يُدعى معلماً، و بالتالي أن يأخذ وظيفة المعلِّم، أي

(٢٥) أع ٢٢: ١٤و١٥.
(٢٦) أف ٣: ٨–١٠.

الراعي، إن لم يكن عضواً حياً في جسم الكنيسة وقد تقبّل سر التعليم أو موهبة التعليم وله علامات الرسالة(٢٧)، يعلّم بحق المسيح(٢٨) وفكره(٢٩)، وتكون الكلمة حية في فمه(٣٠) وقلبه، والروح القدس الذي فيه يأخذ مما للمسيح و يعطيه(٣١) و يتكلم به مُصالِحاً الجميع لله. (٣٢)

ألقاب مزيفة: أما الألقاب الكثيرة التي يخلعها الناس في الكنيسة بعضهم على بعض، وهي ليست حسب حق المسيح ولا يحمل أصحابها علامات الرسالة وقوتها، فهي مجرد ألقاب لا تعتبرها الكنيسة ولا تعتبر أشخاصها.

أما كل من يتجرأ ويجلس على كراسي التعليم في الكنيسة وهو لا يزال في زمان التوبة(٣٣) وليست له مؤهلات «المعلم»، فهو غريب عن جسم الكنيسة!! وظالم كقول «المسيح.» (٣٤)



(٢٧) ٢كو١٢:١٢.
(٢٨) ٢كو١١:١٠.
(٢٩) ١كو٢:١٦.
(٣٠) كو٣:١٦، أف ٦:١٩.
(٣١) يو١٦:١٤.
(٣٢) ٢كو٥:١٨ــ٢٠.
(٣٣) القديس مارإسحق.
(٣٤) يو٧:١٨.

٢ ــ لقب أب

■

معنى الأبوة: جيد هو قول الرب: «لا تَدْعُوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السموات» (٣٥). لأن من هو الأب الحقيقي إلا الذي يفتدي أولاده بحياته باذلاً نفسه من أجلهم حتى الموت(٣٦)؟ فإن كنا نرى صورة مصغرة وضعيفة للأبوّة في الحياة الجسدية في محبة الأب لأولاده، إلا أنها صورة غير كاملة للأبوة، لأنه من الممكن فيها أن يترك الأب أولاده ويهملهم من أجل الله وخدمة أولاد الله.

ولكن الأبوّة الحقيقية نراها قوية ساطعة في أُبوّة الله لنا إذ بذل ذاته في ابنه حتى الموت موت الصليب وافتدانا من الموت لنحيا له!

المسيح يسلمنا روح الأُبوّة: ولكن يسوع بذل نفسه أيضاً؛ واحتمل الآلام؛ وأطاع حتى الموت على الصليب؛ لكي يفتدينا من الموت ويحضرنا أمام أبيه أحياء وبلا لوم. وبذلك أظهر نحونا روح الأُبوّة الحقيقية، ثم أعطانا جسده ودمه وروحه لكي نأخذ عيّنة هذه الأبوّة في هذا البذل وقوة الحب القادر أن يجعلنا آباءً، نحتمل الآلام حتى الموت من أجل الآخرين أيضاً كما صنع هو تماماً من أجلنا.

وهذه بالحق هي روح الأُبوّة الصادقة!

وهكذا صار لنا في المسيح إمكانية الأُبوّة، لا كأنها بإرادتنا أو تقوانا ولكن بقوة من مات من أجلنا وقام!!

(٣٥) مت ٢٣:٩.
(٣٦) لم يوجد مثل واحد لذلك إلا المسيح.

وإذن، تكون هذه علامة الأبوّة الصادقة غير الغاشة: أن يكون المسيح فينا، أي أن يكون لنا قدرة على البذل، وأن يكون ظاهراً فينا علامات موته واحتمال آلامه ومرارة كأسه: «لا يجلب أحد عليّ أتعاباً لأني حامل في جسدي سمات الرب يسوع.»[٣٧]

علامات الأبوّة: ومثل هذا الإنسان الذي يريد أن يكون أباً، يلزم أن تكون نفسه رخيصة عنده[٣٨]، غير محسوب عند ذاته، قادراً أن يبذل نفسه بفرح، بقوة المسيح الذي فيه، لخلاص الآخرين، لا عن شجاعة شخصية أو افتخار أو حتى مجرد شعور أنه أدى خدمة عظيمة لأولاده، بل بحنان الأبوّة ناسياً ما هو لذاته، ذاكراً فقط ضرورة خلاصهم حسب المحبة كروح المسيح الذي فيه: «هكذا إذ كنا حانّين إليكم، كنا نرضى أن نعطيكم لا إنجيل الله فقط بل أنفسنا أيضاً لأنكم صرتم محبوبين إلينا...، كما تعلمون كيف كنا نعظ كل واحد منكم كالأب لأولاده.»[٣٩]

ولا نستغرب قولاً مثل هذا، لأنه ليس بولس هو المتكلم، وليس بولس هو المتألم، وليس بولس هو المستعد أن يبذل نفسه و يُنفِق و يُنفَق من أجلهم[٤٠]؛ بل هو المسيح في بولس[٤١]، لأن بولس أمره معروف عند شاول كيف كان يضطهد كنيسة الله و يتلفها بإفراط و يركض في شهوات الجسد كالباقين أيضاً حسب قوله.[٤٢]

(٣٧) غل ٦:١٧. (٣٨) أع ٢٠:٢٤.
(٣٩) ١تس ٢:٨و١١. (٤٠) ٢كو ١٢:١٥.
(٤١) غل ٢:٢٠. (٤٢) غل ١:١٣، أف ٢:٣.

روح المسيح يجعل الذئب غنمة والغنمة راعياً: ولكن الأسد الذي كان ينفث تهدداً وقتلاً[٤٣] انقلب حملاً وديعاً، والإبن الشارد المارد صار أباً رحيماً، لأن دم الحمل نضح عليه فأخذ من روح الدم والحياة الذي فيه قوة المحبة التي اضطرمت في أحشائه من جهة الآخرين!

وهكذا صار بولس، وهكذا يصير كل إنسان في المسيح يسوع، أباً رحيماً لا بكبرياء الأبوّة الكاذبة بل برفق وحنان ورحمة ورأفة ربنا يسوع! «كنا مترفقين في وسطكم كما تربي المرضعة أولادها هكذا كنا حانّين إليكم.»[٤٤]

نعم! يحق لمثل هذا أن يحمل لقب الأبوّة لأنه يحمل أحشاء رحمة المسيح تجاه أولاده، ومثل هذا يحق له أن يفتخر بأبنائه: «ياإخوتي الأحباء والمشتاق إليهم يا سروري وإكليلي»[٤٥]. بل ويحق له أن يفتخر بأبوّته لهم في المسيح بلا حرج، لأنه يكون قد ولدهم حقاً للمسيح: «لأنه وإن كان لكم ربوات من المرشدين في المسيح لكن ليس آباءٌ كثيرون لأني أنا ولدتكم في المسيح يسوع بالإنجيل.»[٤٦]

الأبوّة سهر ودموع وتعليم: وأبوّة مثل هذه ليست اسماً أو وظيفة أو صناعة، وإنما أبوّة آلام ودموع وسهر وتعب وكد؛ في رأفة، في تعليم، في وعظ، في قدوة فاضلة.[٤٧]

وكلنا نقرأ كيف كان بولس يتمخض بأولاده في أحشاء أبوته إلى أن تصوَّر المسيح فيهم[٤٨]، فوُلدوا له أبناءً لله بعد أن كانوا عبيداً للنجاسة[٤٩]!!

(٤٣) أع ٩:١. (٤٤) ١تس ٢:٧و٨.
(٤٥) في ٤:١. (٤٦) ١كو ٤:١٥.
(٤٧) ٢كو ٦:٤—١٠. (٤٨) غل ٤:١٩.
(٤٩) رو ٦:١٩.

ذخيرة أبوية: وفي الحقيقة قد ترك لنا بولس الرسول ذخيرة أبوية مستوفاة المحاسن ـــ سواء بتخليد قيمة البتولية في الأبوّة حتى لا تتزاحم الأبوّة الجسدية مع الأبوّة الروحية، وحتى لا يَسْخر أولاد الجارية من أولاد الحرة(٥٠) ـــ أو في تَرْكِه أهله وعشيرته في طرسوس دون أن يذكر كلمة واحدة عنهم في كل رسائله، حتى يتفرغ كلية لعمل الأبوّة في أسرة المسيح وخدمة القديسين وأهل بيت الله(٥١)!! حاسباً حنان الأسرة نفاية(٥٢)، وعطف ذوي القربى تعطيلاً للرسالة(٥٣)، أو في عدم استقراره في مدينة أو في بيت، بل كانت حياته بعد أن عرف المسيح في غُربة مستديمة، هائماً على وجهه من أجل الإنجيل بلا إقامة!!(٥٤) أو في احتماله التعيير والتشهير والإستهزاء والخيانة والمقاومة، سواء من بني جنسه اليهود أو من طبقة الحكام الرومان أو من علماء اليونان أو من نفس أولاده الخونة الذين ارتدوا عنه وقاوموه، الذين لم تثمر فيهم تضحيات الأبوّة ولا كلمات الوعظ والتعليم. (٥٥)

تراث زاخر من أبوّات مثل الخراف(٥٦): وليس بولس فقط هو الذي ترك لنا تراثاً أبوياً مذخراً في الكنيسة، بل أنظر إلى يوحنا الحبيب البتول الشيخ كيف تعذّب في بطمس من أجل أمانة الأبوّة التي استأمنه المسيح عليها، وإلى التلاميذ كلهم كيف تألموا وماتوا ليحفظوا حدود وواجبات الأبوّة في الكنيسة.

أُنظر إلى أثناسيوس وديسقوروس وبطرس آباء الإسكندرية، أُنظر إلى يوحنا ذهبي الفم وساويرس وغيرهم من أعمدة القسطنطينية وأنطاكية، وتأمل أبوّتهم

(٥٠) غل ٤: ٢٣و٢٩.
(٥١) لو ١٤: ٢٦و٢٧، أف ٢: ١٩.
(٥٢) في ٣: ٨.
(٥٣) لو ٩: ٦٢.
(٥٤) ١كو ٤: ١١.
(٥٥) ٢كو ١١: ٢٢ــ٢٩.
(٥٦) آية في المزامير (مز ١٠٧: ٤١ الترجمة السبعينية) تشير إلى كيف تتحول الأبوّة إلى ذبائح حية من أجل الأولاد.

الناضجة المثمرة التي خلفوها للكنيسة في شهامة الأمانة والتضحية والسهر والتعليم، إن في النفي أو الهرب أو الإقامة.

وماذا! إنه يعوزني الوقت أن أتكلم عن آباء الكنيسة واحداً فواحداً، لأطوف بأطراف أبوّات مثمرة، كذبائح خراف دسمة ذات رائحة عطرة كرائحة الصليب!! تزينت بها الكنيسة وتعطرت استعداداً لإستقبال العريس!!

الكنيسة تحمل وتهب لقب الأبوّة عن جدارة: إن شخصية الكنيسة تحمل لقب الأبوّة عن جدارة لأنها أخذته بروح من مات على الصليب من أجل أبنائه!! وهي تعطيه لكل من وضع في قلبه أن يموت من أجل المسيح ويضع نفسه من أجل أحبائه فيُدعى «أباً» لأنه يأتي بأبناء للمسيح. كما أتى المسيح «بأبناءٍ كثيرين **إلى المجد.**»(٥٧)

استحالة: ولكن كيف يُدعى في الكنيسة أباً مهما كانت درجته واسمه وهو غير مستعد أن يبذل حياته عن الآخرين؟ يهرب لا من ذئب ولا من كلب ولكن من مجرد تهديد أو وعيد؟

أو كيف يُدعى أباً في الكنيسة وهو غير مستعد أن يدافع عن حق المسيح وحق أولاده ولو خسر راحته وكرامته وسمعته ولقمته ووظيفته؟

بل أقول كيف يُدعى أباً في الكنيسة وهو مضطهِدٌ لأولاده كالهرة التي تأكل أولادها بعد أن تلدهم! يوشي بهم، وينم في حقهم، يقيم عليهم دعاوي ومحاكمات، وها هي المحاكم شهدت قضايا مثل هذه(٥٨)؟!

(٥٧) عب ٢: ١٠.
(٥٨) حز ٣٤: ٤ــ٥.

أو كيف يُدعى أباً في الكنيسة وهو سارق هياكل يأخذ مال المذبح و يشتري أراضي وعقارات أو يرفعها أرصدة في البنوك (٥٩) ؟!

آه لو علم هؤلاء أن الكنيسة ليست شخصية نكرة، فإن رأسها في السماء، الرب يسوع يرى و يسمع، و يكتب أمامه سفر تذكرة (٦٠) !!

ياللحزن عندما ينكشف الحق عند مجيء ربنا و يُستعلن أعضاء الكنيسة، فنبحث عمن كنا ندعوهم آباءً لنا فلا نجد لهم في جسم الكنيسة لا أصلاً ولا فرعاً !!

ثم نرى لعازر مع زمرة المضطهَدين الأذلاء والمزدرَى بهم، قائمين أعضاءً مكرمة وأعمدة ذات تيجان في هيكل الرب، تزينهم لا أوسمة أو نياشين بل سمات الرب يسوع !!

مجمع أُبوَّات صادقة: إن الكنيسة الحقيقية مجمع آباء قديسين لا تجمعهم الألقاب ولكن تجمعهم آلامهم وتعاذيهم من أجل أمانة الأُبوَّة في الكنيسة التي هي جسد المسيح !!

(٥٩) حز ٣٤ : ٣، رو ٢ : ٢١ و ٢٢.
(٦٠) ملا ٣ : ١٦.

شخصية الكنيسة فوق الزلل

عصمة الكنيسة

■

مصدر العصمة هو الروح القدس:

روح الله في الإنسان: بدأت الكنيسة عملها في يوم الخمسين بفعل الروح القدس، في مظهر قوة، ونار، وعاصف، وزعزعة، تنبيهاً للحواس البشرية لعمل القوة السرية غير المنظورة التي سيقوم بها الروح القدس لتكميل رسالته في هيكل الإنسانية. فكانت مفاعيل النعمة، والحكمة والقوة التي سرت في كيان الرسل والتلاميذ، بمنطق لا يقاوَم ولا يعانَد (١). وكانت الآيات والمعجزات التي تتبعهم (٢) شهادة بيِّنة على أن الإنسان قد قبل في طبيعته روح الله بلا منازع.

فعل الروح لا ثمرته: لم يكن حادث حلول الروح القدس يوم الخمسين ثمرة من ثمار الروح، ولكنه كان فعلاً من مفاعيله الإلهية (٣) في الإنسان! لم ينحصر عنه بعد، ولم يتوقف ولم يتناقص، إذ قبله الإنسان في طبيعته الميتة كروح للحياة الأبدية، كعمل تكميلي لخلقة الإنسان الجديدة في المسيح يسوع (٤)، و به صار الإنسان قابلاً وقادراً على أن يحيا في ملكوت الله.

استعلان الروح في الإنجيل: ولكن لم يكن فعل الروح القدس في الإنسان

(١) لو ٢١ : ١٥.
(٢) مر ١٦ : ١٧، أع ٨ : ١٣.
(٣) أع ١ : ٨.
(٤) ١كو ٦ : ١١.

فعلاً بغير استعلان أو بغير تجسيم ظاهر، إذ رأينا **طبيعة الروح تُستعلن وتتجسم بعد الحلول في كتابات الرسل والتلاميذ التي هي الأناجيل والرسائل في كلمات** «هي روح وحياة»، تنطق نطقاً بطبيعة الروح القدس وتعلنها إعلاناً.

الأسرار مجرى لسيل الروح: ولم يكتفِ الروح القدس بالكلمة المكتوبة كاستعلان لطبيعته، بل رأيناه يتخذ مجراه إلى طبيعة الإنسان رأساً بغير الكلمة — وإنما بواسطتها — في الأسرار التي أسسها في الكنيسة والتي بواسطتها لم ينقطع سيل الروح القدس في الكنيسة منذ ذلك اليوم العظيم يوم الخمسين إلى هذه الساعة.

فإن كنا نوهب في كلمة الإنجيل استعلاناً لطبيعة الروح القدس التي فيها نكتشف الحق ونحبه ونعرفه، ففي الأسرار ننال عمل هذه الطبيعة ونتقبل فعلها الدائم في طبيعتنا، فنتحد بالحق ونعمله.

تجاهل عمل الروح هو تجاهل وجهل بالإنجيل والأسرار: وعجيب حقاً ومدهش بل محزن وأليم على النفس بعد ذلك أن نسمع البعض يطلبون حلول الروح القدس كما في يوم الخمسين!! ألا يكون في قولهم هذا تجاهل عظيم لحقيقة يوم الخمسين الذي تعيش فيه الكنيسة؟ وجهل بحقيقة الروح القدس وفعله الكائن فيهم؟

يوم الخمسين كائن أمام عيونهم بكل قوته، وبكل فعله، وباستعلان طبيعته، لم ينقص ولم يتوقف ولم ينحصر عن عمله الذي بدأه، وهو لا يزال يكمله إلى أن يبلغ الإنسان إلى **«ملء قامة المسيح.»**

فالإنجيل هو عمل يوم الخمسين واستعلان مثبت لطبيعة الروح القدس، فهل نَقُص الإنجيل، أو عجز عن أن يعلن عن طبيعة الروح؟

وها هي الكنيسة بأسرارها التي ينسكب فيها الروح القدس مكملاً فعله في الإنسان لقبول طبيعة الخليقة الجديدة في المسيح يسوع، فهل عجزت الأسرار عن أن تكون مساراً عملياً للروح القدس إلى طبيعة الإنسان؟

إذن، ألا يكون طلب يوم الخمسين جحوداً شديداً للإنجيل الذي بين أيديكم؟ وتجديفاً على فعل الأسرار وقوتها؟ وازدراءً بالرسل والتلاميذ الأواني المختارة والمنتخبة لحمل طبيعة الروح الناري، الذي استُعلن فيهم بأقوال وأعمال وعلم وتعليم وقدوة سجلها الوحي عنهم وبهم؟

هل ألغى الزمن عملهم؟ أو هل تقادم العهد الجديد الذي بين أيدينا حتى نحتاج إلى يوم خمسين آخر؟

يوم واحد في حياة البشرية: إن حلول الروح يوم الخمسين استلزم سابقاً تحركات متسعة المجال في المجموعة البشرية قاطبة(٥)، وأُعدَّت له قلوب مختارة تعينت في المقاصد الإلهية منذ الأزل منذ قبل إنشاء العالم(٦)، دربها الرب بنفسه ثلاث سنوات حتى تستحق قبول طبيعة الروح الناري فيها. فيوم الخمسين يوم واحد في عمر البشرية، أُعد لها لتولد فيه كخليقة جديدة في المسيح(٧)، وقد وُلدت!! هو يوم خُطبت فيه الطبيعة الإنسانية لتكون عروساً للمسيح برباط الروح القدس(٨) وقد خُطبت وزُفَّت عروساً له إلى الأبد.

ولكن لماذا يوم الخمسين؟: لم يكن يوم الخمسين غاية في ذاته لإعطاء مواهب عامة للمسرة وتفريح قلب البشرية، ولم يكن يوم تكلم بألسن جديدة وحسب، بل

---

(٥) أع ٢: ٥.
(٦) أف ١: ٤.
(٧) أع ٢: ١٦و١٧.
(٨) ٢كو ١١: ٢، أف ٤: ٣.

كان يوماً مشهوداً في حياة البشرية **لإعداد الطبيعة الإنسانية لقبول واستحقاق طبيعة آبن الله الكلمة.**

فالمسيح كما عُرِّفناه نور وحق وحياة. فكيف نتحد بالنور والحق والحياة بطبيعة مظلمة جاهلة ميتة؟ كيف نقبل الإتحاد بالنور إذا لم نوهب قوة للإبصار الروحي؟ وكيف نتحد بالحق الإلهي إذا لم نأخذ روح حق(٩)؟ وكيف نتحد بحياة الله إذا لم نقبل في طبيعتنا نفخة روح إلهي؟

لأجل هذا حل الروح القدس واستُعلنت طبيعته في كلمة الإنجيل، لنأخذ منها قوة للإبصار الروحي ومعرفة الحق؛ ثم أكمل عمله وفعله فينا بواسطة الأسرار لنأخذ روح حياة.

من أجل ذلك حل الروح القدس بقوة خاصة يوم الخمسين، لم تتكرر ولن تتكرر.

وهو لا يزال يعمل في طبيعتنا حتى هذه الساعة، وإنما عن طريق الإنجيل والأسرار، فلا حاجة بعد (ليوم خمسين جديد)، وإنما الحاجة **لقبول عمله وفعله الذي أكمله يوم الخمسين** والمعروض علينا في الإنجيل والأسرار المقدسة.

وعلى ذلك، فإن أردنا أن نمتلىء من روح يوم الخمسين، فيلزم أن نحفظ وصايا المسيح المعلَنة في الإنجيل؛ لابد أن نُخضع إرادتنا وذواتنا إخضاعاً مطلقاً لعمل الروح القدس حتى يحرق فينا كل ما لا ينسجم مع الروح وكل ما هو ضد إرادته، و بعد ذلك فقط يحق لنا أن نطلب الإمتلاء من الروح فنحصل عليه.

(٩) يو ١٦: ١٣.

لابد أن نوفي حقوق يوم الخمسين، لنأخذ ملء روح يوم الخمسين الحاضر كل حين في الإنجيل والأسرار.

تحصين ضد العالم: والآن إذا نظرنا إلى الكنيسة من وجهة فعل الروح القدس، نجد أن طبيعة الروح القدس مستعلنة فيها بالإنجيل وعاملة فيها بالأسرار.

وبهذين الفعلين الدائمين تكون الكنيسة قد تحصنت ضد العالم!! لأن العالم في جوهره الشرير يعمل في ميدانين ضد الإنسان: الأول الفكر، والثاني الروح.

ففي الميدان الأول، أي ميدان الفكر، تحصنت الكنيسة بكلمة الإنجيل أو بالحري بالروح القدس القائم والمستعلن في الكلمة كنور وحق.

وفي الميدان الثاني، أي ميدان الروح، حيث يعمل إبليس وجنوده كأرواح شريرة مفسدة منبثَّة في أركان الأرض والهواء في الخفاء سراً، نجد أن الكنيسة قد تحصنت ضدهم بواسطة عمل الروح القدس الذي يسري فيها على الدوام بواسطة الأسرار.

هكذا لم يترك المسيح الكنيسة كيتيمة(١٠) في وسط عالم الشر بل حصَّنها ضد كل زلل.

عصمة الكنيسة:

ونحن لو تعمقنا طبيعة الكنيسة لواجهنا حقيقة تحصُّنها ضد الزلل أو بالحري عصمتها من الزلل:

(١٠) يو ١٤: ١٨.

الكنيسة عُصمت أولاً في أشخاص الرسل:

إن إمكانية تقبُّل الرسل لطبيعة الروح الناري لم يكن بالحادث الهين الذي يمكن إغفاله. فنحن لا نستطيع أن نقول إن الرسل قبلوه بجدارتهم واستحقاقهم الشخصي، إذ أنه معلوم جيداً أن المسيح صاحب الفضل الأول في إرسال الروح القدس «ومتى جاء المعزِّي الذي سأُرسله **أنا إليكم من الآب...**»(١١)، «**وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر** ليمكث معكم إلى الأبد.»(١٢)

ولكن لا يمكن أيضاً أن نهمل إعدادهم وتهيئتهم لقبول هذه الطبيعة النارية للروح القدس. **والنتيجة النهائية التي حصلت عليها البشرية من إعداد الرسل والتلاميذ، ومن حلول الروح القدس بطبيعته النارية فيهم، هي قيام الكنيسة كطبيعة بشرية مقدَّسة بالروح القدس، تلك هي المدعوة بـ« كنيسة الرسل.»**

ولكن نريد أن نقول إن هذه الكنيسة المقدسة بالروح القدس استؤهلت لعمل إلهي فائق استلزم العصمة من الزلل والتسامي فوق كل خطأ، وهو تسجيل كلمات الإنجيل المعبَّر عنها بروح وحياة إلهيين(١٣)، لذلك كتب الرسل الإنجيل وهم تحت حالة عصمة.

ثم استؤهلت الكنيسة أيضاً لعمل آخر مماثل يحتاج إلى نفس حالة التسامي فوق الزلل والخطأ، وهو وضع المراسيم الكنسية وتأسيسها لتكون مناسِبَة كل المناسبة لحلول الروح القدس وسريانه فيها، فوضعت الأسرار وهي تحت حالة عصمة من الزلل والخطأ.

(١١) يو ١٥: ٢٦.
(١٢) يو ١٤: ١٦.
(١٣) يو ٦: ٦٣.

توضيح: إذن فالكنيسة في واقعها الحي المتضمِّن حالة عصمة، **هي كلمة الإنجيل وقوة الأسرار.**

ولكي نزيل الغموض من حول هذا التعريف المختصر، نعود فنقول إن كلمة الإنجيل هي طبيعة الروح القدس المستعلَنة للإنسان والمتجسِّمة بواسطة الإنسان، أي أن كلمة الإنجيل طبيعة إلهية ذات فعل إنساني، فالإنجيل ليس عملاً إلهياً محضاً مجرداً عن الفعل الإنساني، لأن الإنسان هو الذي قَبِل هذه الطبيعة الإلهية ثم أعلنها. غير أنه لم يكن إنساناً عادياً بل الرسل والتلاميذ.

إذن، فالكنيسة هي طبيعة الإنسان التي أُعدت لقبول طبيعة الروح القدس (المرسَل من الآب بواسطة الإبن وباستحقاقه)، ثم استحقت لإستعلان هذه الطبيعة في الإنجيل وتوجيه فعلها في الأسرار، لذلك لزم أن تكون في حالة عصمة من الزلل لتكمل هذا العمل الإلهي.

تقديس بالروح، واتحاد في تقديس الروح: وكما حل الروح القدس على جسد العذراء ليعدها لقبول الطبيعة الإلهية التي لإبن الله في أحشائها، هكذا حل الروح القدس في الكنيسة الأولى ليعدَّها لقبول طبيعة المسيح الإلهية، ويهيئها لقبول الإنجيل والأسرار.

ولكن بعد أن اتحدت الكنيسة بطبيعة أبن الله، بتوسط الروح القدس، في الإنجيل والأسرار معاً، لم تَعُدْ الكنيسة طبيعة بشرية مقدسة بالروح القدس فقط، بل صارت الكنيسة طبيعة بشرية متحدة بالمسيح أبن الله في تقديس الروح(١٤)

(١٤) ١بط ١: ٢.

بالإنجيل والأسرار، أي لم تَعُدْ قادرة فقط على كتابة الإنجيل وقبول الأسرار بل صارت قادرة أيضاً على فهم الإنجيل وتعاطي الأسرار!!

هل العصمة حالة قائمة الآن؟: والسؤال الذي يجيش في قلب القارىء الآن هو: هل العصمة من الزلل حالة قائمة الآن في الكنيسة؟

ولكن للرد على هذا السؤال يلزمنا أن نعرف من هي الكنيسة؟ هل هي أشخاص رؤسائها وخدامها؟ أم هي أقوالها وتعاليمها وشروحاتها؟ أم هي حياة قديسيها الذين نبجلهم كل التبجيل؟

ولكن أظن أنه لا يصعب على القارىء الآن أن يدرك من هي الكنيسة التي نعصمها عن الخطأ، فهي ليست أشخاصاً، ولا أقوالاً لأشخاص، ولا حياة أشخاص؛ وإنما هي الطبيعة البشرية التي اغتسلت بل تقدست بل تبررت بإسم الرب يسوع و بروح إلهنا، فاستحقت لقبول واستعلان طبيعة الروح القدس في الإنجيل، واستحقت لقبول وفعل الروح القدس في الأسرار؛ فاستحقت لقبول الإتحاد في طبيعة المسيح كإبن الله!!

فهل الكنيسة التي بهذا الوصف وهذا التحديد قائمة الآن؟ نعم ولا شك. فالكنيسة قائمة الآن كامتداد حي للتجسد الإلهي وحلول الروح القدس، قائمة من طبيعتنا و بطبيعتنا وفي طبيعتنا، قائمة بقوة الإنجيل، وقوة الأسرار وعمل طبيعة آبن الله فيها.

وهي لا تزال معصومة عن الزلل وفوق مستوى الخطأ؛ فهي لم تتغير قط بتغير رؤسائها، ولم تتأثر قط بعثرات وأخطاء خُدامها، ولم تخرج عن وحدتها برغم هذه الإنشقاقات المريعة.

فكلمة الحق في الكنيسة ثابتة لا تتغير، قائمة في الإنجيل؛ وطريقها للحصول على فعل الروح القدس والإتحاد بالرب ثابت لم يتغير، قائم كما هو في الأسرار.

عشرون قرناً مضت على الكنيسة لم يتغير فيها إلا الأشخاص، وهي كما كانت منذ أول يوم، قائمة بالإنجيل، حية بالأسرار، لم يوجد في إنجيلها خطية ولا وُجد في أسرارها غش.

معنى العصمة وأسبابها وحدودها: لا يصعب على القارىء الآن أن يدرك معنى العصمة وأسبابها وحدودها. فمن جهة معناها، يرى أنها حالة إلهية تكون فيها الطبيعة البشرية متقبلة للطبيعة الإلهية النارية التي للروح القدس؛ أما من جهة أسبابها، فكانت ضرورة قصوى احتاجت إليها الكنيسة الأولى أو بالحري الرسل لغايتين أساسيتين:

الغاية الأولى: تقبُّل الحق الإلهي تقبُّلاً كلياً خالياً من شوائب الفكر البشري وتَثْبِته كتابة في الإنجيل والرسائل و بقية الأسفار.

الغاية الثانية: استخدام هذا الحق المكتوب، أي حق الكلمة لتأسيس نظام الكنيسة ووضع الأسرار.

أما حدودها، فالعصمة حالة إلهية لما حصلت عليها الكنيسة ظلت لها وستظل لها وفيها إلى أبد الآبدين. فالعصمة خروج بالطبيعة البشرية عن دائرة التغيير والزمان والمكان، لذلك رأينا أن ما عملته الكنيسة «المعصومة» لا يزال إلى الآن حقاً غير متغير، ورأينا أن ما كتبه الرسل والتلاميذ في أماكن متفرقة وأزمنة متباينة، حق واحد منسجم.

بقدر ما نفهم هذا الحق بقدر ما نتجنب الزلل.
و بقدر ما نتمسك بالأسرار بقدر ما نُعصم عن الخطأ.

ولكن سيظل الإنجيل والأسرار هما وحدهما في عصمة كاملة.

والكنيسة التي تتمسك بالإنجيل والأسرار فهماً وعملاً هي كنيسة داخلة في نطاق العصمة، طاهرة لا عيب فيها ولا دنس.

والبطاركة والأساقفة والكهنة والشعب هم في عصمة بقدر ما هم في القداسة، هم بمنأى عن الزلل بقدر تمسكهم بكلمة الإنجيل وتقبُّلهم لفعل الأسرار.

■■■

انتهى الجزء الأول

- الكنيسة شخصية حية جامعة، قوامها جسد المسيح السري وأعضاؤها هم المؤمنون بالروح والحق. وهي تنمو باستمرار نحو غاية مرسومة لها قبل الدهور، وتتحرك بلا توقف ولا نكوص؛ ماضيها حيٌّ ومستقبلها حاضر دائماً؛
- فالزمن يتحول فيها إلى حكمة، والألم إلى شهادة والضيق إلى إيمان.
- الآلام في الكنيسة ليست غريبة عن طبيعتها ولا هي تعتبر كعمل ثانوي لها، لأن المسيح لم يوضع عليه الألم كعمل إضافي بل كان الألم غاية التجسد!! والكنيسة هي جسد المسيح.

الثمن: ٤ جنيهات